الجـزء الأول

بونابـارت والإسـلام

بوناپارت والإسلام[1]

رسائل بريدية وتقرير عن الإدارة الداخلية

١٧٩٨ ـ ١٧٩٩

١ـ إعجاب بوناپارت بالإسلام.

٢ـ تأثيرات وطنية وتمدينية.

٣ـ ظواهر دينية.

٤ـ آمال إسلامية.

٥ـ نتائج نظرية.

٦ـ نتيجة عملية: صنيعة واضحة لإعادة إحياء الإسلام بالعلوم.

كلمات لاتنسى، للشرق الأوسط جميعه، قيلت فى القاهرة عام ١٧٩٨. أملاها، ووقع عليها، القائد العام بوناپارت. لم يعد الأمر هو فرنسا وقوة مسلمة، بل إن فرنسا والإسلام نفسه، على وشك أن يصبحا حلفاء عبر العالم. نهضة إسلامية، ونسيان محن الماضى، وفهم وتخلل مشترك وعميق للحضارات الشرقية والأوروبية ـ بدت أعظم الطموحات وكأنها قابلة للتحقيق.

بلاغات سياسية، قد يقول الإنسان، ربما تكون سياسية؛ ولكنها سياسية بوناپارت.

جاء إلى مصر لحماية المصالح الاقتصادية[2]، وقام بوناپارت فورا بتوسيع القضية وفرض الاهتمام المنظور الاجتماعى. الأديان مثل اللقاحات؛ (الكلمة من

اختياره)، ثم قال: «أنا لا أرى فى الدين سر التجسيد(*)، ولكنى أرى سر النظام الاجتماعى»(**). واستطرد يقول: « إنه يعزو إلى السماء مفهوم المساواة التى تمنع الفقير من ذبح الغنى»(٣).

من الصعب أن يرى الإنسان أن هذا دين، أو فى الحقيقة الدين الوحيد الذى يمكن تبريره: هذا كان - على أى حال - أول بند فى العقيدة الناپوليونية.

بين البيانات التى صدرت بعد ذلك، لايستطيع الإنسان أن يخفق فى ملاحظة أن نفس هذه الروح الدينية، تفصح عن نفسها، بأوضح ما يكون.

بوناپارت كان ربانيا. فعل أفضل من اتباع النمط السائد (كثيرا ماننسى أن أجدادنا هم الذين شرعوا عبادة الموجود الأعلى)، برغبته وإرادته أصبح ربانيا ملتزما.

مع ذلك، هو كان يعتقد - شكراً له - أن شئون هذه الأرض يجب أن تحكم بأفضل أسلوب ممكن.

كقائد حربى، صمم على فرض الاحترام لجميع العقائد الدينية، وكان يشعر أنه هو نفسه مسلح جيدا بالإسلام، بنفس الدرجة التى نزعت بها روما سلاحه، وهو يلاحق سياسة فرنسا الخارجية.

أى تردد، وأى شكوك، يمكن أن تؤثر على مثل هذا القائد وهو يأمر جنوده - أبناء الثورة مثله - أن يكونوا متسامحين تجاه الإسلام، مثل تسامحهم تجاه الكاثوليكية، وأن يكونوا مبجلين لشيوخ الإسلام كتبجيلهم الأحبار الأساقفة؟

إذا ما ذهب إلى أبعد من هذا، رويدا رويدا، ألم يكن ذلك؛ لأن القيم الإنسانية والتأثيرات الاجتماعية للإسلام كانت تأتى إليه بوضوح أكثر فأكثر؟ (٤).

عند المسلمين، كل شىء بما فى ذلك القانون، ينبع من القرآن. لذلك، لايستطيع أحد أن يصل إلى الجماهير بدون مساندة من رجال الدين. تحدث

(*) تجسيد الإله فى جسد عيسى عند المسيحيين.
(**) يقصد فى الإسلام.

بوناپارت طويلا مع الشيوخ. اختارهم ليس فقط لنفوذهم وشخصياتهم، بل أيضا لذكائهم؛ مسترشدا بقراءة القرآن، سرعانا ما أصبح كطالب.

لم يعط ناپوليون اهتماما كبيرا للحضارة الكاثوليكية (سوف نسمعه فيما يلى وهو يتهكم بقسوة على فكرة الثالوث المقدس). لم يهتم كثيرا بالتبرعات المتقطعة، والعاصية أحيانا، مع العدالة والقوة التى تمثل ذلك صعوداً وهبوطًا معها(*). ألم تكن العدالة هى أساس القرآن؟ وعلى ضوء هذه الرؤية، ألم تكن مبادئه (القرآن) بالغة الصدق؟

التاريخ يلازم وجدان ناپوليون. بالتباين مع ضعف الإسلام الموجود، رأى هو فيه من جميع الجوانب الدليل على قوة حديثة ورائعة. هل ذهبت إلى الأبد هذه القوة وهذه الروعة؟، سأل نفسه. فى لحظة خاطفة، جمع ناپوليون جميع احتياطات الإسلام الديناميكية، افترض أنها شاسعة، وبدأ يستغلها لصالح فرنسا ولصالح الحضارة نفسها، مصيران توأمان يرى أنهما لاينفصمان.

هذا فى رأينا هو ما توضحه نصوص هذا الكتاب دون جدال.

* * *

(*) يقصد أن التبرع يخضع عند المسيحيين لإرادتهم، وليس فيه إلزام كالزكاة عند المسلمين. فالزكاة تمثل فرض العدل ـ المترجم.

القسم الأول
معلومات من المراسلات

١ ـ إعجاب نابوليون بالإسلام

حتى قبل أن يترك فرنسا، قرر بوناپارت أن يدرس القرآن[٥]. فى توجه مهم نحو السياسة والأخلاق، أمرهم أن يحضروا إلى مكتبة معسكره نسخا من العهد القديم والعهد الجديد، ومن القرآن، والقيدا والأساطير، و«روح القوانين» للفيلسوف الفرنسى مونتيسكيو[٦].

يشير هذا إلى عزمه على متابعة مسيرة الأديان عبر الدول، وتبنيه هو نفسه لرؤية سياسية أخلاقية. فورا بعد وصوله إلى مصر، قام القائد العام بتحديد دور تمدينى لحملته، موحيًا باستمرارٍ بشبح الإسكندر.

الوثيقة (١)

رقم ٢,٧١٠ ـ بلاغ إلى القوات الأرضية[٧].

مقر القائد على متن الباخرة لورينت

٢٢ يونيو، ١٧٩٨

أيها الجنود:

أنتم على وشك القيام بغزو لا يمكن إحصاء قدر آثاره على حضارة وتجارة العالم.

أنتم بالتأكيد سوف توجهون للإنجليز ضربة مؤلمة سوف تصيبهم بتدمير مميت[٨].

سوف نقوم بتحركات مرهقة؛ وسوف نخوض عدة معارك، وسوف ننجح فى جميع أعمالنا، الأقدار تقف إلى جانبنا.

بكوات المماليك الذين أهانوا تجارنا، واضطهدوا سكان النيل التعساء، لن يكون لهم وجود بعد أيام قليلة من وصولنا.

الشعوب التى سوف نعيش معها هم من أتباع الرسول محمد ﷺ، البند الأول فى دينهم هو شهادة: **«لا إله إلا الله محمد رسول الله»**.

لا تعارضوهم؛ تعاملوا معهم كما تعاملتم مع اليهود ومع الإيطاليين، احترموا شيوخهم وأئمتهم، كما فعلتم مع الأحبار والقساوسة.

امنحوا الجوامع والفرائض التى أوصى بها القرآن نفس التسامح الذى منحتموه للأديرة المسيحية والمعابد اليهودية، ولدين موسى ودين المسيح.

الفيالق الرومانية حَمت جميع الأديان. سوف تجدون هنا أعرافا مختلفة عن أعراف أوروبا، عليكم أنتم أن تتكيفوا معها.

الشعوب التى سنعيش معها تعامل النساء بطريقة مختلفة عما نفعل؛ ولكن فى جميع الدول من يغتصب امرأة هو وحش.

النهب يغنى قلة صغيرة، ولكنه يصمنا جميعا بالعار. إنه يبدد مصادرنا ويجعلنا أعداء للشعوب التى نريد أن نجعلهم أصدقاء لنا.

المدينة الأولى التى سوف نقابلها، هى المدينة التى بناها الإسكندر. مع كل خطوة سوف نثير ذكريات يريد الفرنسيون أن يحاكوها.

إدارة الحرب(٩) **بوناپارت**

الوثيقة (٢)

رقم ٢,٧٢٣ ـ بلاغ

مقر القيادة، الإسكندرية

٢ يوليو، ١٧٩٨ ميلادية ـ ١٨ محرم، ١٢١٣ هجرية

بوناپارت، عضو «المجمع القومى»، القائد العام[١٠].

منذ زمن طويل، كان البكوات الذين يحكمون مصر يهينون شعب فرنسا ويسيئون إلى تجارها، قرب وقت حسابهم.

لوقت طويل، هذه المجموعة من العبيد، الذين اشتروهم من چورچيا والقوقاز، اضطهدوا أكثر مناطق العالم جمالا، ولكن الله الذى ـ يعتمد عليه كل شىء ـ قضى أن حكمهم يجب أن يزول.

يا أهل مصر، قالوا لكم: إننى جئت لكى أدمر دينكم، فلا تصدقوهم، قولوا لهم: إننى جئت لكى أعيد إليكم حقوقكم، وأن أعاقب من اضطهدوكم، وإننى أحترم الله ورسوله والقرآن، أكثر مما يفعل المماليك.

قولوا لهم: إن جميع الناس متساوون أمام الله، الحكمة، والمهارة، والفضيلة، هى الاختلاف الوحيد بينهم.

الآن، ما هى الحكمة والمهارات والفضائل التى تميز المماليك، حتى تخولهم وحدهم الحقوق إلى كل ما يجعل الحياة حلوة ولطيفة؟

أين توجد الضيعة الجميلة؟ إنها بحوزة المماليك. أين هى الأمة الجميلة، والفرس الجيد والمنزل الفاخر؟ كل هذا هو أيضا لدى المماليك.

إذا كانت مصر ملكا لهم، دعهم يظهرون الحجة التى أنعم الله بها عليهم، ولكن الله رؤوف رحيم بالعباد.

جميع المصريين سوف يُطلبون لشغل المراكز الإدارية، أكثرهم حكمة، وعلما، وفضيلة، سوف يحكمون، وسوف يصبح الناس جميعا راضين.

كان يوجد فى الماضى مدن كبيرة، وقنوات عظيمة وتجارة طيبة بينكم، ما الذى دمر كل هذا، إن لم يكن جشع وظلم وطغيان المماليك؟

أيها القضاة، والشيوخ، والأئمة، قولوا للناس: إننا أصدقاء المسلمين الصادقين[١١].

ألم نكن نحن الذين دمرنا البابا[١٢] لأنه كان دائما يحث الناس على محاربة المسلمين؟ ألم نكن نحن الذين دمرنا فرسان مالطة؛ لأن هؤلاء المجانين اعتقدوا أن إرادة الله هى التى أوجبت قيامهم بالحرب ضد المسلمين؟ ألم نكن نحن الذين كنا عبر القرون أصدقاء لله، وأعداء لأعدائه؟ ألم يكن المماليك من ناحية أخرى فى ثورة دائمة ضد إرادة الله، وهم مازالوا ينكرونه؟ إنهم يتبعون نزواتهم.

سعداء - بالثلاثة - من يقفون معنا. سوف يزدهرون فى المنزلة وفى الثروة. سعداء أيضا من يقفون على الحياد. سوف يكون لديهم الوقت لكى يعرفونا، وسوف يقفون معنا.

لكن الويل ثم الويل، لأولئك الذين يحملون السلاح مع المماليك، ويقاتلون ضدنا.

لا يوجد لديهم أمل، سوف يهلكون.

بند (١)

جميع القرى الواقعة فى دائرة ثلاثة فراسخ من خط سير الجيش، عليها أن ترسل وفدا إلى قائد القوات تخبره بطاعتهم، وبأنهم قد رفعوا علم الجيش ذا الألوان الثلاثة: الأزرق، والأبيض، والأحمر.

بند (٢)

جميع القرى التى تحمل السلاح ضد الجيش سوف تحرق.

بند (٣)

جميع القرى التى تستسلم للجيش سوف ترفع جميعا مع علم السلطان العثمانى ـ صديقنا ـ علم الجيش أيضا .

بند (٤)

الشيوخ يجب أن يقوموا بحفظ وختم البضائع ، والبيوت ، والممتلكات الخاصة بالمماليك ، وأن يتأكدوا من عدم نقصان أى شىء منها .

بند (٥)

الشيوخ ، والقضاة ، ،والأئمة يستمرون فى مراكزهم ، كل مواطن يستمر فى الإقامة فى مكانه ، وتستمر إقامة الصلوات كالمعتاد كل يحمد الله على تدمير المماليك ، ويهتف الجميع : العزة للسلطان ، والمجد للجيش الفرنسى صديق السلطان ، واللعنة على المماليك ، وحظ سعيد لجماهير مصر

إدارة الحرب[١٣] **بوناپارت**

الوثيقة (٣)

رقم ٣,١٤٧ ـ إلى الجنرال مارمونت[١٤]

مقر القيادة، القاهرة، ١٧٩٨/٨/٢٨

. . . إمكانياتنا هنا تتحسن تحسنا ملحوظا يوما بعد يوم . اذهب نيابة عنى إلى الشيخ المسيرى واذكر له ، بين أشياء أخرى ، الأسلوب الذى احتفلنا به بمولد النبى ﷺ ؛ قل له إننى أعقد ثلاثة أو أربعة اجتماعات كل عشرة أيام مع القانونيين ومع أشراف القاهرة ، وأنه لا يوجد من يقتنع أكثر منى بطهارة وقدسية دين محمد ﷺ .

مجموعة ناپوليون[١٥] . **بوناپارت**

٢ـ تأثيرات وطنية وتمدينية

بالتأكيد، أثناء الحملة إلى مصر، لم يتوقف بوناپارت أبدا عن استخدام الإسلام للصالح، ولكن هذا الصالح كان متبادلا، تأكد ذلك منذ البداية وإلى النهاية.

الوثيقة (٤)

رقم ٢,٧٦٥ ـ إلى الإدارة التنفيذية

مقر القائد، الإسكندرية، ٦/٧/١٧٩٨

. . . أثناء هذا الوقت، أرهقنا عرب الصحراء بطوابير من ٣٥ إلى ٥٠ فارسا، يغيرون على مؤخرتنا، ويهاجمون التائهين. لم يتوقفوا عن الإغارة علينا طوال يومين كاملين، ولكنى استطعت بالأمس أن أعقد معاهدة معهم، ليست معاهدة صداقة فقط، بل أيضا، معاهدة تحالف، ثلاثة عشر رجلا من زعمائهم الرئيسيين كانوا معى بالأمس، جلست فى وسطهم، وتبادلنا حديثا طويلا بعد أن اتفقنا على البنود، اجتمعنا حول مائدة، وتوعدنا بنيران جهنم، من جانبى أو من جانبهم، على كل من ينتهك اتفاقنا، الذى هو كما يلى:

«بالنسبة لهم، أن يتوقفوا عن مهاجمة مؤخرة جيشى، وأن يقدموا لى كل مساعدة يستطيعونها، وأن يزودونى بعدد الرجال الذين أطلبهم منهم للزحف ضد المماليك.

بالنسبة لى، عندما أصبح سيد مصر، سوف أعيدهم إلى الأراضى التى كانت ملكا لهم فى الماضى».

تستمر الصلوات كالمعتاد فى الجوامع، وأن يفتح بيتى دائما للأئمة، والقضاة المحليين، والأشراف، والرجال البارزين فى الدولة مثل المفتيين والزعماء الدينيين.

ستجد مرفقا بهذا:

١ ـ مذكرة إجرائية فى جلسة عقدها كبار الشيوخ وزعماء الدولة.

٢ ـ أوامر مختلفة أصدرتها لتقودهم رويدا رويدا فى اتجاه هدفى . هذه الدولة ليست أقل مما صورها الرحالة والرواة ؛ إنها هادئة ، وأبية ، ومحترمة .

مجموعة ناپوليون[١٦] . **بوناپارت**

الوثيقة (٥)

رقم ٢,٨٨٠ ـ إلى الچنرال كليبر[١٧]

مقر القائد ـ القاهرة، ١٩/٧/١٧٩٨

لقد استلمتها فورا ، جميعها فى وقت واحد ، رسائلك من ٢٢ ميِّسيدور إلى ٣ ثيرميدور[١٨] . الطريق الذى سلكته أنت هو الذى يجب أن يسلك .

منذ يومين ، أرسلت لك أمرا لتنظيم إقليم الإسكندرية ؛ لذلك عينت للديوان (مجلس القضاء) الأغا (رئيس الرسميين) وعينت المندوبين المفوضين ، الرجال الذين تعتقد أنهم أكثر ارتباطا مع الفرنسيين ، وأكثر عداء لبكوات المماليك .

أنا لا أؤيد فقط ، القبض على كُرَيِّم ، بل إنك سوف تجد مع التعليمات المرفقة أمرا باعتقال عدد آخر من الأفراد .

أعظم ما كنا نخشاه ، عند وصولنا ، هو احتمال أن يسبقنا الإرهاب ، الموجود كثير منه فعلا ، والذى كان يمكن أن يعرضنا ، فى جميع الشوارع الخلفية إلى مشاهد مثل التى حدثت فى الإسكندرية . يمكن جعل جميع هؤلاء الناس يعتقدون أننا حضرنا بنفس روح القديس لويس التى يحملونها هم معهم عندما يدخلون الدول المسيحية . لكن الآن تغيرت الظروف تماما ، لن يؤسس سمعتنا ما فعلنا فى الإسكندرية ، ولكن ما نفعله فى القاهرة ، على أى حال ، لخصت لك كل النقاط ونحن على علم تام بالأحداث .

إدارة الحرب[١٩] . **بوناپارت**

هذا الذى نسميه ـ نحن الأوروپيين ـ خطأ أنه «أسلمة» الحقائق[٢٠] ، لا يمثل

شيئا، من وجهة نظر المسلمين، أقل من كشف صدق الإسلام برغم ما يبدو من غرابة، فإن الإسلام لا يحتاج فقط للمعرفة، إنه يتطلبها، وهو لا يتطلبها فقط، بل يسعى إليها[٢١].

أحاط الشيوخ بوناپارت علما ببعض أحاديث الرسول المهمة التى تدور حول هذا المعنى. من جانبه، بوناپارت يمتلك قدرة إقناع ترتكز على القوة (كما سوف يعلن علينا).

لذلك، هو والإسلام يمكن أن يعملا معًا.

ناپوليون لم يكن راغبا فى الارتجال.

- ما هى أفضل إدارة يمكن أن يعطيها لدواوين الأقاليم؟
- ما هى التعيينات التى قد يوافق على تثبيتها بصفة نهائية؟
- ما هى القوانين التى تكون فعالة فى ضمان حقوق الورثة واجتناب إضاعتها؟
- ما هو النظام الذى يجب تقديمه للقضاء المدنى والقضاء الجنائى؟
- ما هى التحسينات التى يمكن وضعها لإقرار حقوق الملكية وفرض الضرائب؟
- كثير من مثل هذه الأسئلة قدمها ناپوليون نفسه لديوان مصر[٢٢].
- هل يستطيع ضابط عظيم[٢٣] أن يسىء معاملة الديوان؟

القائد العام يتدخل فورا. هو لا يجيز القبض على أعضاء الديوان إلا بعد فحص دقيق ليثبت ما إذا كانوا مذنبين أم لا.. يجب على الإنسان أن يدرس الناس الذين يجد نفسه بينهم، ويضرب بنفسه أمثلة عادلة وصارمة أما النزوات والأعمال الطائشة فيجب على الإنسان أن يتجنبها بقدر الإمكان[٢٤].

التعاون متبادل حول جميع النقاط؛ إذا وجبت استشارة الدواوين، والاستماع إليها باهتمام، فإن علماء المعهد المصرى سوف يتوسعون فى أنشطتهم التمدينية.

هذا المعهد، الذى يشمل أكثر الأسماء لمعانا، يتكون من أربعة أقسام: الحساب؛ وعلوم الطبيعة، والاقتصاد السياسى، والآداب والفنون[٢٥].

منذ الجلسة الأولى[٢٦] طرح ناپوليون أكثر الأسئلة المتعلقة بالموضوع غرابة، ولكل سؤال منها، نادى على العلماء المختصين. لم يهمل شيئا، سواء أكان تطهير وإنعاش ماء النيل، أو موضوع المطاحن، أو صناعة الدقيق. ولكن آخر هذه الأسئلة يستحق اهتماما خاصا.

الوثيقة (٦)

رقم ٣,٠٩١ ـ الجلسة الأولى للمعهد المصرى

القاهرة، ٢٣/٨/١٧٩٨

. . . ما هو الوضع فى مصر بالنسبة للتعليم، والقانون، والقضاء المدنى والجنائى؟ ما هى التحسينات الممكنة فى هذه المجالات التى قد يريدها شعب مصر؟

مجموعة ناپوليون[٢٧] **بوناپارت**

قائمة رائعة من الأسئلة لم يبعدها ناپوليون أبدا عن نظره [٢٨].

الخطاب الذى ذكر سابقا، الذى ارسله إلى واحد من أحب چنرالاته[٢٩]، لم يشمل سرا واحداً، ولا توجد كلمة واحدة فى هذه الصفحة لا يمكن قراءتها على الشيخ المسيرى، الذى كتب إليه ، فى نفس ذاك اليوم، خطاب لا يقل أهمية[٣٠].

أخيرا، خطاب إلى علماء، ونبلاء، وشيوخ، وأئمة، وفلاحى أقليم البحيرة، حدد الرباط التقليدى الذى أراد بوناپارت أن يبنيه بين أفكاره الدينية والأخلاقية وبين النظام المدنى.

الوثيقة (٧)

رقم ٤,٢٨٧ ـ إلى علماء، ونبلاء، وشيوخ وأئمة، وفلاحى إقليم البحيرة

مقر القائد، تيرانا، ١٧/٧/١٧٩٩

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

جميع سكان إقليم البحيرة يستحقون الانتقاد الشديد؛ لأن العناصر الحكيمة والمستنيرة متهمة بأنها لم تكبح جماح الأشرار والجهلة، ولكن الله غفور رحيم. الرسول ﷺ فى بعض أحاديثه يقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»(*)، وأنا كذلك تجاهكم. لقد منحت، بهذا المرسوم، عفوا عاما عن جميع سكان إقليم البحيرة الذين أساءوا السلوك، وأصدرت الأوامر بعدم إجراء أى تحقيق ضدهم. إننى آمل مع ذلك أن سكان الإقليم، بحسن سلوكهم، سوف يجعلوننى أشعر بأنهم جديرون بهذا العفو.

إدارة الحرب (٣١) **بوناپارت**

هكذا يسير الدين والمجتمع المدنى معًا إلى الأمام، ومجال كل منهما يتزايد.

الوثيقة (٨)

رقم ٤,١٠٣ ـ إلى المواطن فوريير، عضو الديوان

مقر القيادة، قبل عكا، ١٩/٤/١٧٩٩

استلمت رسائلك العديدة، أيها المواطن.

إننى أجيز لك أن تتراسل مع المعهد القومى؛ لكى نحيطهم علما، باسم المعهد

(*) [صحيح] أبوداود فى: الأدب [٤٩٤١]، والترمذى. فى: البر والصلة [١٩٢٤]، وأحمد فى «مسنده» [٢/ ١٦٠].

المصرى، عن رغبته أن يتلقى سريعا التحقيقات العديدة التى طلب من اللجان المختلفة أن تقوم بها، والسرعة التى سوف يرد بها المعهد المصرى.

أحِطْ ديوان القاهرة علما بالنجاح الذى حققناه ضد أعدائنا، والحماية التى قدمناها لكل من وقفوا معنا، والإجراءات القاسية التى قمنا بها فى المدن والقرى التى أساءت التصرف، شاملة جنين، موطن غرار، شيخ نابلس.

قل للديوان إنهم عندما يستلمون هذه الرسالة، سأكون قد استوليت على مدينة عكا، سوف أكون فى طريق عودتى إلى القاهرة، حيث إننى شديد الشوق للوصول إليها، بقدر اشتياقهم لرؤيتى.

أحد أول اهتماماتى سوف يكون دعوة المعهد للاجتماع؛ لنرى ما إذا كنا نستطيع اتخاذ خطوة أخرى للأمام نحو المعرفة الإنسانية.

مجموعة ناپوليون(٣٢) **بوناپارت**

بعد أن قدم هذا التقدير والإجلال للإسلام، وللمدنية أيضا، أصبح لدى بوناپارت الحق أن يتحدث بصوت عال وحاسم للشيوخ، والعلماء، والأشراف، وأئمة المساجد. هو لم يتوان عن فعل ذلك(٣٣).

من ناحيتهم، لم يتوقف الشيوخ من تقديم خدمات جليلة له. فى رسالته إلى الإدارة التنفيذية يوم ١٩/ ٦/ ١٧٩٩، التى صوَّر فيها مغامرته مع «المهدى»، ذكر بوناپارت أسماء الشيوخ الذين تعاونوا معه كثيرا. هناك توجد أهم المساعدات التى قُدمت للحملة الفرنسية. ما الذى جعل أمير الحج يتخلف؟. بوناپارت يشرح هذا من خلال شخصية الأمير.

الوثيقة (٩)

رقم ٤,١٨٨ ـ إلى الإدارة التنفيذية

مقر القائد ـ القاهرة، ١٩/٦/١٧٩٩

. . . **ثورة أمير الحج** ـ أمير الحج، رجل ضعيف متردد، أغدقت عليه كرما وحنانا، ولكنه لم يستطع أن يقاوم المؤامرات التى كانت تدور حوله؛ وضع نفسه فى قائمة أعدائنا.

بمشاركته لقليل من عرب القبائل، وبعض المماليك، قدم نفسه إلى قائمة أعدائنا. مطاردا وملاحقا، خسر فى يوم واحد جميع الحسنات التى أغدقتها عليه، وخسر الثروات، وجزءا من أسرته كانوا لا يزالون فى القاهرة؛ وخسر سمعته كرجل شريف، والتى كانت له حتى ذلك الحين.

الملاك المهدى ـ شغب مع بداية شهر مايو، الأول من نوعه الذى نراه، وضع إقليم البحيرة فى ثورة. برز رجل من أعماق أفريقيا، هبط فى بلدة ديرنا، قابل العرب، وقال: إنه هو المهدى، الذى ذكره الرسول فى أحاديثه. وصل ٢٠٠ رجل من المغاربة بعد أيام قليلة، وكأنها مصادفة، ووضعوا أنفسهم تحت أوامره. من المفترض ألا يظهر المهدى للناس إلاّ بأمر السماء. هذا الدجال ادعى أنه هبط من السماء مباشرة إلى وسط الصحراء؛ كان هذا الرجل العارى تماما محملاً بذهب غزير، وكانت لديه القدرة على إخفائه. كل يوم يضع أصابعه فى إناء من اللبن، ويمر بها على شفتيه، وكان هذا هو غذاءه الوحيد الذى يمتصه. ذهب إلى دمنهور، حيث كان هناك ٦٠ رجلا من فيلق البحرية يقيمون فى معسكر مكشوف بدلا من إسكانهم فى حصن الرحمانية؛ فاجأهم وقطع رقابهم، بعد أن شجعه هذا النجاح، بدأ يثير خيال أتباعه، وادعى أنه عندما يلقى بعض التراب أمام مدافعنا، يمنع بارودها عن الاشتعال، ويجعل طلقات بنادقنا تسقط أمام أقدام المؤمنين، عدد كبير من الرجال شهدوا أنهم رأوا مئات المعجزات من هذا القبيل، التى كان يقوم بها كل يوم.

قائد اللواء، ليفيبڤار، ترك حصن الرحمانية مع ٤٠٠ رجل لمواجهة الدجال، وعندما رأى أن عدد الأعداء يتزايد كل لحظة، أدرك استحالة التعامل بنجاح مع هذا العدد من المتعصبين. شكل فرقته على هيئة مربع، وقضى طوال اليوم يقتل من يرمون أنفسهم أمام بنادقه. بالليل فقط قام المتعصبون بإحصاء موتاهم وجرحاهم. وجدوا أن القتلى فقط كانوا أكثر من ألف رجل. وأدركوا أن الله توقف عن صنع المعجزات.

يوم ١٩ مايو، وصل الجنرال لانوس إلى دمنهور، وحشد ١٥٠٠ رجل يحملون السيوف، وترك المكان كومة من رماد، المهدى نفسه جرح عدة مرات، وشعر أن حماسه بدأ يخبو، واختبأ فى غياهب الصحراء، يحيط به أتباعه.

مع ذلك، طبيعة هذه الثورة عجلت عودتى إلى مصر.

هذه الحركة غير العادية، خُطط لها؛ لكى تحدث فى نفس الوقت الذى كان فيه الأسطول التركى، الذى أنزل الجيش الذى دمرته فى عكا، على وشك الوصول إلى الإسكندرية.

معركة على قنال موييس. الجنرال لانوس، بعد أن أعاد الاستيلاء على إقليم البحيرة، لاحق المغاربة والمهاجرين إلى قرية كفر. فونيج بإقليم الشرقية، قتل ١٥٠ رجلا منهم، وأحرق القرية.

وصلت يوم ١٥ مايو إلى العريش فى طريق عودتى من سوريا. سخونة رمل الصحراء رفعت درجة الحرارة إلى ٤٤ درجة مئوية، وحرارة الجو وصلت إلى ٣٤ درجة مئوية، وكان علينا أن نرحل ١١ فرسخا يوميا لنصل إلى آبار بها قليل من الماء المالح الكبريتى الفاتر، وكنا نشربه بشوق أكثر من شوقنا إلى زجاجة شمپانيا فى مطاعم فرنسا.

دخلت إلى القاهرة يوم ٢٦، يحيطنى حشد كبير من الناس فى موكب يملأ الشوارع، مع جميع قوات البوليس من الأنكشارية والأغوات، وسلالات أبى بكر وفاطمة، وأبناء الأولياء الذين يبجلهم المؤمنون، وكبار المفتيين يمتطون البغال؛ لأن

النبى يفضل هذا الحيوان، وكبار التجار، وبطريرك الأقباط يسيرون فى مقدمة الموكب، ويسير اليونانيون فى المؤخرة.

كان يجب على أن أعبر عن رضائى للجنرال دوجوا والجنرال لانوس وقائد الكتيبة دورانتو.

الشيوخ: البكرى، والشرقاوى، والسادات، والمهدى، والصاوى ألزموا أنفسهم بأفضل سلوك كنت أريده، بشروا باسمنا كل يوم فى المساجد، كان لتعاليمهم أعظم تأثير على الأقاليم. أغلبهم كانوا من سلالة الخلفاء الأوائل، ويتمتعون باحترام الشعب.

إدارة الحرب **بوناپارت**

بوناپارت كان يتراسل. بانتظام مع شريف مكة.. اهتم بالاتصال به منذ البداية.

الوثيقة (١٠)

رقم ٣,١١٠ ـ إلى شريف مكة

مقر القائد، القاهرة، ٢٥/٨/١٧٩٨

مع إحاطتكم علما بدخول جيش فرنسا إلى مصر، أشعر بحاجتى أن أؤكد لكم عزمى الأكيد أن أحمى بجميع الوسائل، رحلات الحجاج إلى مكة، و الجوامع والمؤسسات التى تمتلكها مكة والمدينة فى مصر ستظل ملكًا لها، كما كانت فى الماضى. نحن أصدقاء للمسلمين، ولدين النبى، نحن نرغب أن نفعل كل ما يسرك وكل ما هو فى صالح الدين.

أنا أريد أن يُعرف فى كل مكان أن قوافل الحجاج لن تتعرض لأى تدخل، وسوف نوفر لها الحماية بأسلوب يجعلها لا تخاف من العرب.

مجموعة ناپوليون **بوناپارت**

هذا المبدأ ـ مثل الكثير غيره ـ أخذ به الإنجليز وطبقوه. فى عام ١٩٠٣، عندما قام الخديوى برحلة إلى مكة، كلفوا فرقة قوية من الجيش المصرى بمصاحبته وحمايته ضد بدو شبه الجزيرة العربية. عدد من الشخصيات التركية من سوريا وآسيا الصغرى صاحبوا القافلة. نحن لا نقلل من شأن الأهمية السياسية لهذا العمل.

بالرغم من وضوح الرسالة السابقة، قام بوناپارت، بعد يومين لاحقين، بالكتابة ثانية إلى شريف مكة، يعطيه أكثر تأكيدات الإخلاص الرسمية.

كل هذا كان يدور حول الحماية الفعالة للمسلمين. الفكرة كانت عزيزة إليه؛ وكان ينتظر رد شريف مكة مع عودة رسوله.

الوثيقة (١١)

رقم: ٣,١٣٦ ـ إلى شريف مكة

مقر القيادة، القاهرة، ١٧٩٨/٨/٢٧

إننى أسرع لإخباركم بوصولى إلى القاهرة على رأس الجيش الفرنسى، وكذلك بالإجراءات التى اتخذتها لأحافظ لجوامع مكة والمدينة المقدسة على مصادر الدخل المكرسة لها. من خلال الرسائل التى سوف يكتبها لكم ديوان وتجار هذه الدولة سوف ترون قدر اهتمامى بحماية الأئمة، والشرفاء، ورجال القانون؛ سوف ترى كذلك أننى عينت لأمير الحج، مصطفى بك أبا ـ بحر باشا، حاكم القاهرة، وأنه سوف يقوم بحراسة القافلة بقوات تقيها من تطفل العرب.

أوَد كثيرا أن أعرف، من خلال ردكم، ما إذا كنتم تريدون منى أن أحرس القافلة بقواتى أنا، أم فقط بقوات الفرسان من رجال هذه الدولة؛ ولكن على أى حال أرجو أن تخبر التجار والمؤمنين، أن المسلمين لن يجدوا أصدقاء أفضل منا، وأنه لايوجد شيء يخيف التجارة، لأنها سوف تجد حماية خاصة.

إننى أنتظر إجابتكم مع عودة رسولى.

لك أيضا أن تخبرنى عن حاجتكم من القمح أو الأرز، وسوف أرى بنفسى أنها أرسلت إليكم.

إدارة الحرب[٣٤] **بوناپارت**

حتى نهاية إقامته فى مصر، كان بوناپارت مراسلا وصديقا لشريف مكة.

الوثيقة (١٢)

رقم: ٤,٢٣٤٠ ـ إلى شريف مكة[٣٥]

مقر القيادة، القاهرة، ١٧٩٩/٦/٣٠

بسم الله الغفور الرحيم.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

لقد تلقيت رسالتكم وفهمت محتوياتها. لقد أصدرت الأوامر التى من خلالها سوف أعبر لكم عن عظيم التقدير والصداقة التى أكنها لكم.

إننى آمل أنكم، بحلول الموسم القادم، سوف ترسلون عددا كبيرا من السفن المحملة بالبن وبالسلع الهندية. سوف نوفر لها حماية دائمة.

إننى أشكركم بما فعلتموه من نقل رسائلى إلى الهند وإلى الجزيرة الفرنسية. أرجو أن تنقل هذه أيضا وأن ترسل الرد إلى.

أرجو أن تثق فى احترامى لكم، وفى اهتمامى بصداقتكم.

بوناپارت.

أوراق طبعت بأوامر من القنصل الأول[٣٦].

الإدارة التنفيذية كانت تستشار بانتظام[٣٧] عن الخدمات التى لم يتوقف بوناپارت عن طلبها من شريف مكة مقابل الحماية التى قدمتها فرنسا للمسلمين[٣٨].

الوثيقة (١٣)

رقم ٤,٢٢٥ ـ إلى الإدارة التنفيذية

مقر القائد، القاهرة، ٢٨/٦/١٧٩٩

. . . أنا لم أتلق رسائل من فرنسا منذ وصول مورو، الذى أحضر إلى أخبارا من يوم ٥ نيڤوس[٣٩] ومن بيللڤيل يوم ٢٠ بلوڤيوس[٤٠]. أرجو أن أتلقى رسائل أكثر دون إبطاء.

قلقنا الشديد دائما يدور حول فرنسا. إذا كان الملوك سوف يهاجمونها، سوف تجدون فى جبهاتنا الراسخة، وفى عبقرية الشعب القتالية، وفى چنرالاتكم، الوسائل الكفيلة بالرد على وقاحتهم ردا مميتا ـ أسعد أيامنا ستكون تلك التى نعلم فيها بتكوين أول جمهورية فى ألمانيا.

سوف أرسل إليكم قريبا رسما لقنال السويس، وخرائط لمصر بأكملها، مع قنواتها، وخرائط لسوريا كذلك.

لدينا علاقات منتظمة مع مكة. كتبت عددا من الرسائل إلى الهند والجزر الفرنسية. وأنتظر الرد بعد أيام قليلة. شريف مكة هو الوسيط فى هذه الرسائل.

مجموعة ناپوليون[٤١] **بوناپارت**

بوناپارت كان أول من تفهم الأهمية السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للحج إلى مكة، أهمية ما زالت تعتبر ـ وإن كان من وجهة النظر الاجتماعية فقط ـ أنها لا تقبل الجدل[٤٢].

حجاج المغرب هم موضوع دراسة خاصة.

الوثيقة (١٤)

رقم ٤,٣٥٨ ـ إلى سلطان المغرب

القاهرة، ١٥/٨/١٧٩٩

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

بسم الله الغفور الرحيم.

إلى سلطان المغرب، حوارى الكعبة المكرمة، القوى بين الملوك، والمؤمن المخلص بشريعة النبى الصادق ﷺ.

مع عودة حجاج المغرب، أخذنا هذه الفرصة لكى نكتب إليك هذه الرسالة نحيطكم بها علما أننا قدمنا لهم جميع المساعدات الممكنة؛ لأننا نريد فى جميع المناسبات أن نفعل ما نستطيع لنقنعكم بقدر الاحترام الذى نكنه لكم. إننا نوصى أن تقوموا، فى مقابل ذلك، بحسن معاملة جميع الفرنسيين الذين يقيمون فى ولاياتكم، أو الذين تحضرهم شئونهم التجارية إليها.

مجموعة ناپوليون(٤٣) **بوناپارت**

لا يوجد شىء أكثر صدقا من هذه السياسة. ألم تملها فى الوقت نفسه، أكثر المشاعر نبلا، وتكفلها معظم المصالح المشتركة؟

أما بالنسبة للتعصب، بوناپارت لم يتوقف أبدا عن أن يكون خصما له، ولكن من خلال من يجب على الإنسان أو يمكن لإنسان منفرد أن يعارضه؟ من خلال الشيوخ والشرفاء، من خلال جميع من يستخدمون وقتهم وإمكانياتهم فى تثقيف الناس(٤٤).

بقدر ما كان بوناپارت يفضل دينا واحدا عظيما، ينظم ويساهم فى التنظيم، هو أيضا يبغض التعصب الدينى. عامة الشعب قد يكونون متعصبين، ولكن رجال الدين ليسوا كذلك. لذلك قام من خلالهم بمهاجمة التعصب؛ لكى يحاصر الوباء، ويهزمه بعد ذلك(٤٥).

الوثيقة (١٥)

رقم ٤,٣٧٤ إلى الجنرال كليبر

مقر القائد، الإسكندرية، ٢٢/٨/١٧٩٩

المواطن - جنرال، سوف تجد مرفقا بهذا، أمرا بتعيينك قائدا عاما للجيش. الخوف من عودة ظهور الأسطول الإنجليزى من لحظة إلى أخرى أجبرنى على الرحيل يومين أو ثلاثة قبل الموعد المحدد. . .

أنت تفهم، مواطن - جنرال، ما كان عليه سلوكى فى الإشراف بنفسى على سياسة مصر الداخلية. مهما يكن ما نفعله، سوف يظل المسيحيون هم أصدقاءنا ولكن يجب أن تمنعهم من الغطرسة المفرطة، حتى لا يعاملنا الأتراك بنفس التطرف الذى يعاملون به المسيحيين، والذى قد يبعدهم عن التصالح. يجب على الإنسان أن يكبح التعصب حتى يستطيع أن يجتث جذوره[٤٦]. بتشكيل رأى كبار شيوخ مصر، يمكن تشكيل رأى مصر بأكملها، ورأى زعماء هذا الشعب. لا يوجد من هم أكثر خطرا علينا[٤٧] من الشيوخ الذين يخافون، والذين لا يعرفون كيف يقاتلون ومن يقاتلون، والذين هم مثل كل القساوسة، يثيرون التعصب دون أن يكونوا هم أنفسهم متعصبين. .

بعد أن تعودت رؤية الجزاء على الجهود والمحن فى حكم التاريخ، أنا أترك مصر بأسف شديد. مصالح الوطن الأم، وأمجاده، والإحساس بالواجب، والأحداث غير العادية التى ألمت به، جعلتنى أقرر العودة إلى أوروبا. بقلبى وعقلى سأظل معك؛ نجاحاتك سوف تكون عزيزة على كتلك التى كان يمكن أن أنجزها أنا، وسوف أعتبرها أياما ضائعة، جميع أيام حياتى التى لم أفعل فيها شيئا للجيش الذى تركته تحت قيادتك، وأيضا لتقوية المؤسسة الهائلة الذى وضعنا أساساتها فى التو . . .

إدارة الحرب[٤٨] **بوناپارت**

٣ـ ظواهر دينية

كان قدر بوناپارت ألا يندهش إطلاقا، وإنما يقود الناس من دهشة إلى أخرى.

عندما رأى جنوده، القائد العام لجيش الحملة الفرنسية وهو يترأس صلوات المسلمين، ارتبك أكثر من واحد منهم، ولم يحتج أى منهم. بقلبه كان بوناپارت يعتنق مبادئ الثورة الفرنسية.

هذه الروح الآن، المبنية على الربوبية الصادقة، أليست هى معيارا عظيما لروح المسلمين؟ (٤٩).

أثناء إقامته بمصر، وجه بوناپارت اهتماماته الخيرية، باطراد إلى أدق تفاصيل الحياة الدينية(٥٠) وهكذا عندما احتدت الخلافات مع تركيا، استطاع بطريقة شرعية سليمة أن يستشهد بالخدمات التى قدمها لقضية الإسلام. لقد وضع نفسه بحزم على أرضية المسلمين، قال: كيف يمكن لتركيا أن تكون صديقة لفرنسا عندما كانت فرنسا قوة مسيحية، وأن تبتعد عنها بعد أن كيفت فرنسا نفسها مع الإسلام؟ دع السلطان يتفهم جيدا أفضل مصالحه، وأن يدافع ضد التقسيم المستهدف لإمبراطوريته، بين روسيا وألمانيا(٥١).

نحن نعرف أن بوناپارت كان واضحا فى عدائه لفكرة الثالوث المقدس. بل كان يسعده أن يسخر منها.

الوثيقة (١٦)

رقم ٤,٢٩٦ ـ إلى الديوان فى القاهرة

مقر القيادة، الرحمانية، ٢١ / ٧ / ١٧٩٩

. . . يوجد على ظهر هذا الأسطول روسيون ممن اضطهدوا ممن يؤمنون بوحدانية الله؛ لأنه طبقا لافتراءاتهم يوجد ثلاثة منهم. ولكنهم سوف يرون بعد وقت ليس بعيدا أن عدد الآلهة لايصنع القوة، وأنه لايوجد إلا «أب» واحد للنصر،

هو الغفور الرحيم، يقاتل من أجل كل ما هو طيب. ويخزى خطط الأشرار، والذى بحكمته قضى بوجوب حضورى إلى مصر؛ لكى أغير صورتها وأستبدل حكم التدمير بحكم النظام والعدل، هو أعطى بذلك رمزا عن قدرته المطلقة، لأننا فعلنا ما لا يستطيع أبدا أن يفعله من يؤمنون بثلاثة آلهة ـ نحن الذين نؤمن بموجود أعلى واحد يحكم الطبيعة والكون

إدارة الحرب(٥٢) **بوناپارت**

علما بأن بوناپارت لديه مثل هذه الكراهية لعقيدة الثالوث المقدس(٥٣) هل يمكن للإنسان أن يتعجب كثيرا؛ لأنه تحدث بمثل هذا الحب عن دين النبى محمد ﷺ؟ «دين النبى محمد ﷺ الذى أحبه»، قال ببساطة وصدق(٥٤).

ما أثار دهشتى أكثر، هو رؤية القائد العام وهو يقوم بالأعمال الدينية التى هى ـ عادة ـ مسئولية الباشا.

الوثيقة (١٧)

رقم ٣,٩٥٢ ـ إلى الإدارة التنفيذية

مقر القيادة، القاهرة، ١٠/٢/١٧٩٩

. . . فى هذه المناسبة، اصطحبت معى المُلاّ، أكثر الرجال احتراما فى الإمبراطورية الإسلامية، بعد مفتى القسطنطينية، يحترمه شيوخ المذاهب الأربعة الرئيسية، ويحترمه أمير الحج.

شهر رمضان، الذى بدأ بالأمس، احتفلت أنا به بموكب عظيم؛ قمت بجميع المهام التى اعتاد الباشا أن يقوم بها.

إدارة الحرب(٥٥) **بوناپارت**

الوثيقة (١٨)

رقم ٤,٣٦٢ ـ أمر[٥٦]

مقر القائد، القاهرة، ١٦/٨/١٧٩٩

حكام الأقاليم، بخطاب دورى باللغة العربية سوف يرسل إلى جميع القرى، سوف يحاطون علما بفخامة الاحتفال بمولد النبى ﷺ الذى أقيم فى القاهرة.

لن يذكر الإنسان أنه رأى شيئا بمثل هذه العظمة.

جميع وحدات الجيش فى القاهرة، أنيرت بأعداد كثيرة من المشاعل، وقامت بزيارة الشيخ البكرى، حيث كان القائد العام يتناول طعام العشاء مع مصطفى باشا وجميع كبار الضباط الذين أسروا فى معركة أبى قير. القائد العام كان موجودا أثناء قراءة التواشيح فى مدح الرسول، وكبار الشيوخ يحيطون به، أمر بإقامة الصلاة، ثم استمع إلى قراءة السيرة النبوية، الباشا وجميع الأتراك المسجونين، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم وهم يرون قدر الاحترام الذى يكنه الفرنسيون للإسلام، والقانون، ولأحب الأنبياء إلى الله.

القائد العام أراد أن يبرهن على رضائه عن الشيخ غريانى حاكم الإسكندرية، والشيخ المسيرى رئيس ديوان الإسكندرية ـ رجلان يمجدان لحكمتهما وتقواهما ـ ألبس كلا منهما معطفا عظيم القيمة.

هذا الأمر الذى صدر اليوم سوف يترجم إلى اللغة العربية، ويطبع، وترسل ثلاثون نسخة منه إلى جميع حكام الأقاليم.

إدارة الحرب[٥٧] **بوناپارت**

عندما كان بوناپارت، قبل ذلك بسنة واحدة، يشكر مينو للتبجيلات التى قدمها للنبى محمد ﷺ، من كان يعتقد أنه سوف يذهب إلى هذا المدى؟

بوناپارت، مع ذلك، ذهب فعلا إلى مدى غاية فى البعد، وعقد الميثاق الأخلاقى. بين فرنسا والإسلام.

بوناپارت كان له الحق إذا أن يكتب كلمة «قلب» وهو يتحدث عن التقارب بين فرنسا والإسلام[٥٩] هو، العنيد العظيم الذى لايهدأ، كان ودودا تجاه الإسلام.

٤ـ آمال إسلامية

هذه الآمال، أو التوقعات، توجد فى شكلين:

الأول، مادى، وفى نفس الوقت، أخلاقى ودينى.

أن تكفل فرنسا أعمال الإسلام، وأن المسلمين يمكنهم، من الآن فصاعدا، أن يعتبروا أن فرنسا تحميهم بصدق: هذه التأكيدات، كما رأينا، لم يتوقف بوناپارت أبدا عن تقديمها بسخاء، ولم يتوقف أيضا عن الوفاء بكلمته.

الثانى، دينى بحت. البلاغ الصادر إلى جماهير مصر فعل أفضل من تصديق هذه الآمال، إنه قام بتكريسها[٦٠].

بل يوجد ما هو أكثر من ذلك. يوجد أيضا قبول الرمز. الهلال فى مقابل الصليب[٦١]. ألم يكن هذا الاقتراح هو الذى برز من محصلة الوثائق التالية؟

نحن نطرح السؤال بدون أن نحاول مزج التعليق مع النصوص[٦٢].

الوثيقة (١٩)

رقم ٣,٠٧٧ ـ إلى المواطن بوڤوازينز

مفتش الديوان فى القاهرة

مقر القائد، القاهرة، ٢٢/٨/١٧٩٨

المواطن بوڤوازينز سوف يرحل إلى دمياط، ومن هناك سوف يصعد إلى باخرة تركية أو يونانية تأخذه إلى يافا، سوف يحمل معه الرسالة المرفقة الموجهة إلى أحمد باشا، سوف يطلب مقابلته، وسوف يروى له بصوت واثق أن المسلمين لن يجدوا فى أوروبا أصدقاء أصدق منا؛ وإننى قد تأملت كثيرا من الاعتقاد السائد فى سوريا أننى أخطط للاستيلاء على القدس وتدمير دين الرسول محمد؛ ويؤكد له أن هذه

الفكرة بعيدة عن قلبنا بقدر ما هى بعيدة عن عقلنا، وأنه يستطيع أن يعيش فى أمان، وأننى أعرفه من سمعته أنه رجل فاضل؛ وأنه يستطيع أن يطمئن تماما، إذا رغب أن يتصرف كما يجب مع الرجال الذين لايسيئون إليه، فإننى سوف أكون صديقا له، وأن وصولنا إلى مصر سوف لاينقص قوته، بل إنه يستطيع فقط أن يزيد قوته؛ وإننى أعرف أن المماليك، الذين قمت بتدميرهم، كانوا أعداء له، وأنه لايجب أن يخلط بيننا وبين بقية الأوروبيين، إذ إننا بدلا من أن نستعبد المسلمين قمنا بتحريرهم، وأخيرا سوف يروى له ما يحدث فى مصر، وأن الأنسب له أن يتخلى عن رغبة التسليح، وإقحام نفسه فى هذا الصراع.

إذا كان أحمد باشا غير موجود فى يافا، يجب عليه أن يذهب إلى القديس چين بمدينة عكا، ولكنه يجب أن يحرص أولا على رؤية العائلات الأوروبية، وخاصة نائب قنصل فرنسا، والحصول منهم على معلومات عما يحدث فى القسطنطينية، وعما يجرى فى سوريا

مجموعة ناپوليون(٦٣) **بوناپارت**

الوثيقة (٢٠)

رقم ٣,١٤٨ ـ إلى الشيخ المسيرى

مقر القائد، القاهرة، ٢٨/٨/١٧٩٨

الچنرال كليبر أعطانى تقريرا عن تصرفاتكم، وأنا سعيد به. أنت تعرف الاحترام الخاص الذى أحمله لكم منذ تعارفنا أول مرة. أرجو ألا يتأخر الوقت طويلا قبل أن أتمكن من جمع جميع رجال الدولة من الحكماء والمثقفين، وأن أقيم نظام حكم متوازن(٦٤). مبنى على أساس مبادئ القرآن الصادقة، والتى يمكنها وحدها أن تسعد الناس.

أرجو أن تعتمد دائما على احترامى ومساندتى.

مجموعة ناپوليون(٦٥) **بوناپارت**

الوثيقة (٢١)

رقم ٣,٧٨٥ ـ إلى سكان القاهرة

مقر القائد، القاهرة، ١٧٩٨/١٢/٢١

عناصر فاسدة أضلت شريحة منكم، لقد هلكوا. الله أمرنى أن أكون غفورا ورحيما بالناس: لقد كنت غفورا ورحيما بكم.

أنا غضبت منكم بسبب ثورتكم. حرمتكم شهرين كاملين من ديوانكم؛ ولكنى أعيده لكم اليوم: سلوككم الحسن أزال وصمة ثورتكم.

السادة الشرفاء، والعلماء، وأئمة المساجد، أحيطوا الناس علما بأن أولئك الذين يعلنون أنفسهم أعداء لى لن يجدوا ملجأ لهم فى هذه الدنيا أو فى الآخرة. هل يوجد إنسان أعمى لدرجة أنه لايستطيع أن يرى أن القدر نفسه هو الذى يوجه جميع أعمالى؟ هل يوجد أى إنسان لديه شك كاف لكى لا يصدق أن كل شىء فى هذا الكون الشاسع يخضع لإمبراطورية القدر؟

أحيط الناس علما أنه منذ بداية العالم، كتب على أننى، بعد أن أقوم بتدمير أعداء الإسلام وقهر الصليب، سوف أحضر إلى هنا من الغرب البعيد، لأنجز المهمة التى فرضت على. ساعدوا الناس؛ لكى يروا أن فى القرآن الكريم، فى أكثر من عشرين آية، يوجد أن ما يحدث الآن قد قدر مسبقا، وشرح كذلك، ما سوف يحدث.

دعهم يتغيرون إذا، أولئك الذين لايمنعهم من لعننا سوى خوفهم من أسلحتنا؛ لأنهم وهم يدعون السماء ضدنا، هم يقومون بلعن أنفسهم. دع المؤمنين الصالحين يقومون بالدعاء من أجل نجاح جيوشنا.

أنا أستطيع أن أحاسب كل واحد منكم عن أكثر أفكاره سرية؛ لأننى أعرف كل شىء، حتى ما لم تتحدثوا به لأى إنسان، ولكن سوف يأتى يوم يرى فيه العالم

جميعه بالبينة، أن أوامر عليا هى التى توجهنى، وأن جميع جهود الإنسان لن تستطيع أن تقهرنى. سعداء أولئك الذين سوف ينضمون إلىَّ بنية مخلصة.

إدارة الحرب[٦٦] **بوناپارت**

ما يؤكد أهمية السياسات التى بدأ بوناپارت يعمل بها فى مصر، هو الهدف الذى وضعه لنفسه قبل أن يغادر أرض فرنسا: تطوير العالم حضاريا وعلميا، ليس باستبعاد الدين، بل باستبعاد الديكتاتوريات التى تؤيد حكم البابا المطلق.

بأى أسلوب نحكم به، ألم تكن هذه سياسة أوضحت نفسها تماما خلال الفقرات التالية؟

الوثيقة (٢٢)

رقم ٢,٤٧٠ ـ إلى الجنرال برون[٦٧]، قائد عام الجيش فى إيطاليا

پاريس، ٢/٤/١٧٩٨

. . . لديك الكثير لكى تفعله فى الدولة التى أنت بها. أرجو أن يكون هذا هو التكليف الذى تقوم بعده بالحضور والانضمام إلى، لتعطى الدفعة الأخيرة لأعظم مشروع لم ينفذ الرجال مثله قبل ذلك.

اجمع حولك رجالا موهوبين وأقوياء.

أنا أوصيك أن تحمى مرصد ميلانو، ومن بين الآخرين، أوريانو، الذى يشكو من السلوك تجاهه . . هو أفضل مهندس وجد حتى الآن.

مجموعة ناپوليون[٦٨] **بوناپارت**

كل شىء أعد مسبقا، لم تنس أى تفصيلات، إذا لزم الأمر، سوف يعود بوناپارت إلى التيبر؛ ليحمل معه المواطن مونج، وكذلك أوراق الدعاية المطبوعة باللغة العربية.

بالتراجع عن إجراءات بيع ممتلكات الكنيسة فى إيطاليا، وإنهاء سلطة الإكليروس، إن لم تكن سلطة البابا نفسه، كان بوناپارت يوازن فعلا بين هاتين

القوتين: مفهوم التسامح ومفهوم الدين، والتى كان يريد أن يلعب بإحداهما ضد الأخرى، طبقا للظروف.

الوثيقة (٢٣)

رقم ٢,٤٧١ ـ إلى المواطن مونج فى روما

باريس، ٢/٤/١٧٩٨

استلمت، ياعزيزى مونج، رسالتك المؤرخة يوم ٣٠ ڤينتوز(٦٩) لابد أن يكون ديسايكس قد وصل. أرجو أن تعطيه الرسالة المرفقة . . .

أنا أعتمد عليك وعلى الدعاية المطبوعة باللغة العربية، إذا لزم الأمر سوف أعود مع سرية إلى أعلى التيبر لإحضارك.

مجموعة ناپوليون(٧٠) **بوناپارت**

ليس من الضرورة علينا أن نعود خلفا إلى دور بوناپارت السياسى فى القاهرة؛ دعنا فقط نلاحظ إلى أى قدر قام هو ـ وهو يستعد لمغادرة مصر ـ بتقييم حركة العالم التى قررها هو ومدها عبر العالم.

الوثيقة (٢٣أ)

(مكملة للوثيقة رقم ١٥)

رقم ٤,٣٧٤ ـ إلى الجنرال كليبر

مقر القائد، الإسكندرية، ٢٢/٨/١٧٩٩

. . . المركز المهم الذى سوف تشغله كقائد عام، سوف يضعك فى موقف يتيح لك استخدام المهارات التى منحتها الطبيعة لك؛ ما يحدث هنا له أهمية عظيمة، وعواقبها سوف تكون بالغة الأهمية للتجارة وللحضارة؛ هذا سوف يكون عهدا تؤرخ منه الثورات العظيمة.

إدارة الحرب(٧١) **بوناپارت**

فى هذه الثورات قد يدخل الإسلام كعامل حاسم. ويوجد اعتناء ضئيل أن البينة يمكن جمعها. بتفصيلاتها الكاملة[٧٢].

نحن نتقدم بالشكر للسلطات الحربية التى مكنتنا من استخراج نسخ للوثائق التالية.

وثائق ومذكرات لم تنشر. تتعلق ببلاغ القاهرة.[٧٣]

مراسلات نابوليون الأول

* لجنة.
* وزارة الحرب.
* سجلات تاريخية.
* مقر قيادة هيئة الجيش.

الوثيقة (٢٤)

نسخة طبق الأصل للجزء الثانى من النسخة الخطية لبلاغ كتبه الجنرال بوناپارت فور عودته من سوريا ووجهه إلى شعب مصر، باسم ديوان القاهرة

هو كثيراً ما يتعلم من الأدعية الموجودة فى القرآن التى بدأ يعرفها ويحبها، ونحن نعلم أن خطته(*) هى أن يبنى جامعا ضخما، ثم يعتنق الإسلام بعد ذلك. نحن يجب أن نحيطك علمًا أن جزار باشا(**) أطلق عليه الشعب الذى اضطهده اسم جزار. خطط لكى يغزو مصر. جمع من العثمانيين الذين كان جندهم فى عكا، يركزون أنظارهم على أقاليم سوريا ومصر الجميلة، على أمل أن يقوموا بنهب ممتلكاتها. هو استولى فعلا على العريش. القائد العام بوناپارت خرج إليه، هزم جنوده فى العريش، وأسر أكثر من ثلاثة آلاف منهم قبل أن يتقدم إلى غزة

(*) كلمة ملغية من الأصل.
(**) كلمتان ملغيتان من الأصل.

ويستولى على هذه المدينة. المسلمون الصادقون أسرعوا لمقابلته، هو (. . . . .)(*) جميعهم، واستولى على الحصن، وهزم ثانية رجال الجزار، الذين كانوا يفرون أمامه كالطيور وكالفئران يطاردهم القط. بعد وصوله إلى رمله، استولى على ٢٠٠ قربة ماء ومؤن من البسكويت كان يعدها الجزار لزحفه إلى مصر. من هناك، - منتصراً دائما - وصل بوناپارت إلى يافا، واستولى على المدينة بعد يومين من القتال وأخذ ٥٠٠٠ أسير، مع كمية ضخمة من المؤن المخزونة؛ لأن المدينة كان سلوكها سيئا، أباح نهبها، بعد أن قتل جميع الجنود. الناس من مصر هم فقط الذين أنقذوا وأرسلوا إلى ديارهم على ظهر مائتى قارب محملة بالمؤن؛ لأن المصريين هم أبناؤه.

من هناك، قام بوناپارت بمطاردة رجال الجزار، حيث كان معهم النابلسيون، هزمهم وقتل عددا كبيرا منهم. عند وصوله إلى عكا، دمر حوائط قصر الجزار وحوائط المدينة كلها. من خلال عدة معارك[٧٥]، قهر جميع أعدائه الذين أرادوا معارضة خططه، إذ إنه كان مثل سيف الله. بعد ذلك، قرر أن جماهير مصر تطلب حضوره بعد غياب أربعة أشهر، وأن بعض الأشرار كانوا يحاولون جر الدولة إلى العصيان، وأن العرب كانوا يقومون بأعمال النهب وأن المماليك يحرقون. خرج إلى مصر ووصل إليها، وأخمد جميع العواصف، وبعودته تغير حال شعب مصر.

(هذا المستخرج المؤرخ «پريريال السنة السابعة» بتقويم الثورة. كتب بيد السيد چومارد.).

هكذا كانت أهمية هذه الوثيقة[٧٦] التى تشعر بالتزامنا أن نتبعها بالرسائل والمذكرات التالية، والتى استمدت مثلها من سجلات إدارة الحرب، هذه الوثائق والمذكرات بالتأكيد تسجل ذروة العلاقات الفرنسية / الإسلامية.

(*) كلمة مفقودة.

الوثيقة (٢٥)

خطاب أرسله السيد چومارد، ١٨٥٦/٨/٣٠

* وزارة الحرب.

* سجلات تاريخية.

* مقر هيئة الجيش.

عزيزى الچنرال

أنا لا أستطيع أن أرفض المطلب الذى أرسلته إلى. البلاغ المستنبط تم إعداده، بقدر المستطاع، فى غياب البلاغ الأصلى الذى فقد فى قصر الإليزيه. هذه وثيقة افتقدها كثيرا: بتقديمى هذا السجل الأصلى الثمين إلى رئيس الدولة، كنت أعتقد أنه سيكون أكثر أمنا هناك عن وجوده معى. أظن أنك قد أحطت علما بالموضوع.

سيدى الچنرال؛ منذ أربع أوخمس سنوات مضت أخذت مبادرة تقديمه، مع الاحترام، إلى الأمير الذى رحب به باهتمام. طلبته منذ ذاك الحين تكرارا من أمين المكتبة ومن السيد موكارت؛ لكى ألقى عليه نظرة؛ لم يهتم أحد بمطالباتى، ولم أتخذ أنا أى خطوات أخرى.

أنا أعتقد أن النسخة الجديدة التى أرسلها إليك هى - سطر بسطر - كل ما يمكن استنباطه من قراءة الأصل.

أرفقت لك بعض كلمات قليلة تشرح الأصل.

تأكد ياعزيزى الچنرال، أننى شديد الأسف؛ لأننى أشعر أن وضعك لم يتحسن.

حاشية: دون شك مازال **چومارد** يوجد ضابط قديم ممن شاركوا فى الحملة المصرية، يستطيع أن يوضح للجنة حقائق هذه الحملات.

إلى الجنرال أوبيك .

ملاحظة للسيد چومارد[٧٧] عن البلاغ الذى أصدره ديوان مصر عند عودة الحملة السورية . (سيرة ذاتية للجنرال بوناپارت) .

* وزارة الحرب .

* سجلات تاريخية .

* مقر هيئة الجيش .

عند عودته من الحملة السورية ، شعر القائد العام بوناپارت بالحاجة إلى إنعاش الثقة لدى سكان القاهرة . الجيش الفرنسى دخل من «بوابة النصر» . الجنود كانوا يحملون سعف النخيل رمزا للنصر ؛ جميع من لهم أية منزلة فى المدينة أظهروا أنفسهم أمام قوات الجيش . مسيرة القوات ، والمناورات المتنوعة ، والموسيقى العسكرية ، والجموع الحاشدة ، جميعها معا جعلته يوم احتفال بالنصر . لكى يصل إلى عقول الناس ، قرر القائد العام أن يقوم الديوان بإصدار بلاغ إلى سكان مصر ، وأعطاهم أفكاره لإعداد هذا البلاغ ، وعندما رأى أن ما فعلوه لم يكن ملائما ، بدأ هو يمليه عليهم . هذا ما يراه الإنسان من قراءة السطر الأول من هذا المستخرج ، بعد كلمات «التحية لكم» .

«يجب علينا أن نحيطكم علما أن . . . » (هكذا يقرأ السطر الأول . بعد ذلك ، أضاف هو ، بخط يده ، ثلاثة سطور قبل الفقرة الأخيرة .) يبدو أن من كان يكتب ما يمليه لم يكن سريعا بالقدر الكافى لملاحقة كلماته[٧٨] . قلم يمر على بداية سطرين يشير إلى أن الجنرال بوناپارت فقد صبره .

أخيرا أمسك هو بالقلم واستمر يكتب صفحتين كاملتين ، الأسلوب يتحرك سريعا ، مثل الكتابة نفسها ، ويمكن للإنسان أن يرى قوة البلاغة الحربية تبرق خلال السطور . هذه الوثيقة غير مقروءة تقريبا لأى إنسان لايعرف خط يد المؤلف ، ولايعرف خاصة تاريخ الحملة السورية .

هذه النسخة راجعها ووافق عليها السيد دى مينِّيڤال، وكذلك السادة تشاپيوس ولوداك، ولاتران، وأميدييه، وجميعهم يعرفون خط يد الچنرال بوناپارت، وهؤلاء السادة أعلنوا أن الكلمات الباقية التى لم تنسخ هى كلمات لايمكن قراءتها.

چومارد.

الوثيقة (٢٦)

ثلاث ملاحظات تكميلية[٧٩]

* وزارة الحرب.
* سجلات تاريخية.
* مقر هيئة الجيش.

(الأولى)

ملاحظة عن تاريخ إعداد هذه المسودة، وتاريخ إصدار البلاغ.

كل شىء يدل على أن هذه المسودة الخطية كتبت فى القاهرة أثناء يوم ٢٦ پريريال أو فى ليلة ٢٦ ـ ٢٧ پريريال.

بالنسبة للبلاغ، كان يجب إعداده ونشره بحلول يوم ٢٧ پريريال على أكثر تقدير؛ ولكن بالتأكيد ليس يوم ٢٦، بمعنى، اليوم الذى دخل فيه القائد العام، طبقا لكلمات نص البلاغ التى تقول «دخل القاهرة من بوابة النصر يوم الأربعاء الموافق يوم ١٠ من شهر محرم . . . الخ» والذى يوافق يوم ٢٦ پريريال أو ١٤ يونيو.

ملاحظة خطية:

انظر هذه المسودة التى أرسلت إلى السيد چومارد، فقدت ولم تعد إلى السجلات المحفوظة، ولكن من الممكن أن يجدها الإنسان مطبوعة. انظر الملاحظة المرفقة.

(الثانية)

١٤ يونيو، ١٧٩٩ .

القاهرة[٨٠] **بوناپارت**

مسودة البلاغ الذى أصدره ديوان القاهرة، مكتوبة بخط يد بوناپارت، فى يوم دخول الجيش إلى القاهرة (٢٦ پريريال) .

مسحوبة من مجموعة السيد چوبارد .

أعمال ناپوليون الكاملة (ستوجَّارد) .

T . 3 . P 166 . P . OFF . T . I, P . 256

(الثالثة)

لم يقم الچنرال بوناپارت فقط بإملاء الرسائل والبلاغات التى كان يقوم هو بتوقيعها، بل كان أحيانا يملى رسائل وبلاغات يوقعها الآخرون .

عند عودته من الحملة السورية، التى لم تكن نتائجها مرضية تماما، أراد بوناپارت، رغم ذلك، من ديوان القاهرة أن يثير فى جماهير الأقاليم المصرية نفس السعادة التى شعر هو بها عند عودته إلى مصر .

لذلك كتب بنفسه إلى سكان القاهرة مسودة بلاغ المرفقة، وهى النسخة التى طورت إلى نص النسخة الأصلية المفقودة .

طلب من الچنرال أوپيك أن يقرأ الملاحظة المطبوعة على الهامش : توجد فقرات لايستطيع أحد أن يقرأها ، ولكن إذا قام السيد فوسجيلين نيابة عنكم بمقابلة السيد چومارد الذى يقيم فى پاريس حتى الآن، ربما يستطيعان حل رموز الفقرات المفقودة أو استكمال هذه الوثيقة المهمة .

فعلا كما شاهدنا إنشاء التحالف بين إسلام متخلف وبين فرنسا متحررة، معنويا منذ البداية، وكان يمكن توقيعه رسميا . . . عقبة واحدة بين عقبات

أخرى، أثبتت عدم إمكان تجاوزها؛ معارضته تركيا المتهورة التعيسة، التى ازدرت نوائب المستقبل.

وهكذا فشل «أعظم مشروع كان يمكن للإنسانية أن تنجزه».

الوثيقة (٢٧)

رقم ٤,٣٦٤ ـ إلى الوزير العظيم

مقر القائد، القاهرة، ١٧/٨/١٧٩٩

إلى وزير تركيا العظيم الكبير بين كبار المتنورين وموضع ثقة أعظم السلاطين.

يشرفنى أن أكتب إلى سعادتكم من خلال الأفندى الذى أخذ أسيرا فى «أبوقير» والذى أعيده إليكم ليحيطكم علما بحقيقة الوضع فى مصر، ويدخل فى مفاوضات بين الباب العالى وبين جمهورية فرنسا، لوضع نهاية للحرب المستمرة بيننا والتى تسىء إلى كل من دولتينا.

الباب العالى وفرنسا كانا صديقين لزمن طويل صداقة تقليدية، صديقين خلال ترامى حدوديهما، ومن خلال شراكتيهما لعدو مشترك فى روسيا وفى إمبراطور ألمانيا. أى سوء حظ مميت هذا الذى جعلهما، رغم ذلك، تحاربان بعضهما؟

كيف يمكن لسعادتكم ألا تشعر بأنه لا يوجد رجل فرنسى مات دون أن يكون سنداً للباب العالى؟

كيف يمكن لسعادتكم، وأنتم المستنيرون العارفون بسياسات ومصالح مختلف الدول، ألا تدركوا أن روسيا وإمبراطور ألمانيا اتفقا فى مناسبات عديدة على تقسيم تركيا، وأن تدخل فرنسا، هو فقط الذى منع حدوث ذلك؟

سعادتكم بالتأكيد تعرفون أن العدو الحقيقى للدين الإسلامى هو روسيا. الإمبراطور پول الأول أعلن نفسه السيد الأعلى على مالطة، أى أنه عقد العزم على محاربة المسلمين.

ألم يكن هو رأس الدين الإغريقى الذى احتضن أكبر عدد من أعداء الدين الإسلامى؟ .

زود وزيرك فى باريس بسلطات مطلقة ، أو أرسل رجلا آخر إلى مصر مزودًا بسلطات مطلقة ومعرفة تامة بأهدافكم . كل شىء يمكن تنظيمه خلال ساعتين من المشاورات . إنها الفرصة الوحيدة لإحياء إمبراطورية المسلمين ، وإعطائها القوة ضد أعدائها الحقيقيين ، وإحباط خطتهم الغادرة التى لسوء الحظ ، نجحت فعلا بالنسبة لهم .

إدارة الحرب[٨١] **بوناپارت**

هذه الرسالة كانت مؤرخة ١٧/ ٨/ ١٧٩٩ ؛ بعد خمسة أيام لاحقة ، يوم ٢٢ أغسطس ، قام بوناپارت بتعيين الچنرال كليبر قائدا عاما للجيش[٨٢] .

أكد لديوان القاهرة أنه سوف يعود سريعا[٨٣] .

أهملته تركيا ، وأحس هو باستحالة قبولها لاقتراحه ، ورأى من الناحية الأخرى أن الإدارة التنفيذية تحتفظ برسائل مهمة ، علاوة على ذلك انزعج بهزائم چوردا فى ألمانيا وشيرار فى إيطاليا ، لذلك قرر بوناپارت أن يغادر مصر[٨٤] .

٥ـ الخلاصة ـ (نتائج نظرية) ـ

(عروض ضمنية ـ عرض واضح لإحياء الإسلام) .

تاريخيا ، تقارب الشرق والغرب ، بأسلوب حاسم غير متوقع ، شكرًا للحملة الفرنسية .

معنويًا ، أولئك الذين ، على الأقل ، نسوا ـ المسلمين ـ بدأوا يرون ، بالنسبة لقضيتهم ، أرضية لتقدم لانهائى تجاه فكرة الحضارة العلمية .

نظريا ، يبدو أن هذا كان ـ على الأقل من متابعة النصوص السابقة ـ رأى بوناپارت عن الدين الإسلامى . . . . مع بعض التحفظ ، سوف نوجز إطار الاقتراحات كما يلى :

١ ـ أقل قدر مما وراء الطبيعة، مع أعلى قدر من البعد الاجتماعى.

المفهوم الجمهورى عن «الموجود الأعلى» يكفى. ولكن العبادة يجب أن تنظم طبقا لطبائع الشعوب المختلفة، وهو ما يبيحه ـ بكل سعة ـ الدين الإسلامى.

٢ ـ الضغط السياسى على القادة الدينيين.

بقدر ما رفضه بحسم[٨٦] دين يواجه رجل الدولة بقوة مساوية، إن لم تكن أعلى من قوته ـ وبهذا لايمكن احتواؤها ـ بقدر ما كان بوناپارت مشدودا غريزيا إلى دين من قادة اجتماعيين تحكمهم عقولهم. **هكذا رأى بوناپارت أن فى الدين الإسلامى صلاحًا للناس، ومبادئ تسمح بإجراء إحياء منظم للشرق، وأيضا لتنظيم حكومة عالمية[٨٧]. بالنسبة له الدين الإسلامى كان هو الحق المطلق: كان حقا يُمارس، لكن أى نوع آخر يمكن أن يوجد؟**

٣ ـ استمرارية الدين.

«إذا كان هناك دين وجد منذ بدء العالم»، قال ناپوليون فى أحد الأيام، «أنا أعتقد أنه هو الدين الحق»[٨٨]. بوناپارت كان يعرف أن محمدا نسب نفسه إلى جميع الأنبياء السابقين، حتى أولئك الذين خفيت الآن أسماؤهم على الناس. هو قرأ ذلك فى القرآن[٨٩]، وهذا المفهوم كيف نفسه تماما مع آرائه ـ هو ـ التى تميل دائما نحو العولمة. بوناپارت نسى الفيدا والديانات الهندية...[٩٠].

٤ ـ احتمال الإحياء العلمى للدين الإسلامى.

ـ دائم الاستشهاد بالماضى، كان بوناپارت يدور حول أعظم الأمجاد ـ كان يعرف أن القرآن ـ أساسا ـ ليس فقط أكثر تحررا من العقيدة الكاثوليكية،[٩١] بل أيضا إن التاريخ سجل إسلاما علميا لايقارن، يمكن إحياؤه، ومتوقعا ومقدرا. بالنسبة لهذه النقطة الأخيرة، خاصة، كان شيوخ المصريين شديدى الحرص على ألا يهملوا التوجيه الدينى لإنسان مثل بوناپارت.[٩٢]

٥ـ مستقبل فكرة العدالة.

أخيرا، بوناپارت أدرك، أفضل من أى إنسان آخر، الاتجاه الذى يسير العالم إليه؛ شعر نظريا أن وجود قوة روحية، وبقاءها دائما، هو أمر ضرورى للإنسان، وأن المصلحة الاجتماعية تتطلب ذلك، وأنه بتعبيرات عملية ـ سواء أحبها المرء أو كرهها ـ بالتفوق المنطقى لروح العدالة(٩٣) التى تخلق النظام على فكرة التصدق الحر التى تعدم النظام، وبالرغم من جميع الظواهر، فإن الهلال سوف يخلف الصليب.

لذلك هو كان يريد من أجل أمجاد ومكاسب متبادلة لفرنسا، ولدين مثالى ولنفسه، أن يقود قطارا يتوقع له النجاح.

لأنه تعود أن يرى نتاج جهود الحياة ومحنها فى حكم الأجيال اللاحقة، ترك بوناپارت مصر وهو يشعر بأسف شديد(٩٤)، ألم يكن من الممكن القول بثقة أن جميع هذه الأفكار كانت تختمر بداخله، وأنه كان يريد أن يقوم الإسلام ـ رغم كل شىء ـ بإنجازها من أحد أطراف العالم إلى الطرف الآخر.

هذه فى رأينا هى النظرية الضمنية البالغة الوضوح فى عدة نقاط للقائد العام، الصغير السن، لجمهورية فرنسا أثناء فترة الحملة المصرية.

بالنسبة للحكم الذى كونه بوناپارت عن شخصية الرسول محمد ﷺ، لايوجد أى احتمال لأى ريب حوله. تماما كما أظهر بوضوح تعاطفا صادقا تجاه الشعب المصرى، ولم يخفه. هو أيضا لم يستطيع إلا أن يشعر بنوع من الولاء الرومانى للنبى محمد ﷺ، وللجنود الذين آمنوا به. أى رجل يعرف أفضل من الرسول محمد ﷺ، كيف يجمع بين قوتين مستقلتين عزيزتين على بوناپارت: الإقناع، والقوة(٩٥).

من يعرف أفضل من الرسول محمد ﷺ كيف يبنى كيانا اجتماعيا صادقا؟ من أفضل من الرسول محمد ﷺ، كان محاربا، وغازيا، ومشرعا عظيما؟ من، مرة

تلو أخرى، ركز أعمق اهتمام على الماضى السحيق و المستقبل البعيد؟ بالتأكيد ما أكثر أفعال، وأقوال بوناپارت، التى جعلتنا نعرف أنه يعتقد أن محمدا كان أكثر الأنبياء قدسية. فى الفكر العربى هو كان أكثر الأنبياء فاعلية؛ لأنه كان أقدسهم؛ بالنسبة لبوناپارت، هو كان أقدسهم؛ لأنه كان أكثرهم تأثيرا منطقيا.

فى رأينا، أن بوناپارت بذلك عبر منطقيا عن إعجابه بشخصية الرسول محمد ﷺ.

تعاطفه مع المسلمين كان صادقا، جاء من العقل ومن القلب معا، وهو أراد أن يؤكد ذلك لهم. انجذابه نحو الإسلام نفسه مستمد من الغريزة، طوره التفكير والتأمل، أية وطنية وطموح - أكثر روعة من أى شىء آخر - من هذين اللذين نقلهما التاريخ إلينا.

مع ذلك دعنا نتحدث بصراحة كل هذا الذى نحاول تحليله، برز إلى بوناپارت فى تكوين واسع دقيق لايتجزأ.(٩٦)

على أية حال، وأيا كانت الانطباعات لدى الإنسان عن موقف بوناپارت تجاه الإسلام، هذه المعضلة ظلت باقية: هل كان الدافع لدى بوناپارت هو ولاؤه كرجل سياسة(٩٧) وتصرف طبقا لذلك؟ أو كان سياسة بحتة، أجازتها الإدارة عندما لُقِّنت وتصرف هو تبعا لذلك.

على كل حال، كلمة الدولة كانت ملزمة. لم تكن مسئولية بوناپارت - على الأقل فى لحظة محددة -(٩٨) أن يقوم بإنجاز تحالف قوى وإيجابى بين فرنسا والإسلام.

ومع أنه لم يبرم تحالفًا فوريًا، فقد دعا إلى إقامة هذا التحالف فى المستقبل، وسلم للسياسيين والوطنيين المخلصين العقلاء اقتراحًا موجزًا ولكنه واضح - لإحياء الإسلام(٩٩).

٦ـ اقتراح واضح لإحياء الإسلام بالعلوم.

الوثيقة التالية، التى أشرنا إليها فى مناسبات كثيرة، تحوى فى الحقيقة مشروعا كاملا لإصلاح الإسلام، وهذا العنوان يلزمنا جزئيا أن نتناولها بالكامل.

نحن لا نملك المؤهلات اللازمة لمناقشتها، ولكننا نصر على حقيقة أن بوناپارت أعد مسودة هذه الوثيقة فى الوقت الذى بدأ فيه يفقد الأمل فى الوصول إلى اتفاق مع تركيا، على أرضية إسلامية بحتة.

التفكير الظاهر هو: مركز علمى يعرض فيه حقيقة الإسلام؛ ومركز آخر دينى يحافظ على منزلته ـ مكانه التقليدى مكة ـ التى تتواصل باستمرار مع الماضى، وتنشر بين الحجاج الذين يأتون من جميع بقاع الأرض، الحقائق السرمدية التى وصلت إليها. بهذا الأسلوب ـ وبفضل توحيد القوى ـ تتكون من وحدة فعالة للمؤمنين تتطابق مع وصايا القرآن (١٠٠).

الوثيقة (٢٨)

رقم ٤,٢٣٨ ـ أمر

مقر القائد ـ القاهرة، ١٧٩٩/٦/٣٠

حكام جميع الأقاليم يجب أن يخبروا الدواوين المختلفة أن مجلس العلماء عين الشيخ العريشى قاضيا. القائد العام يريد أن يقوم كبير القضاة، كما هى العادة، بالتصديق على مناصب جميع القضاة؛ لذلك يجب على جميع قضاة الأقاليم أن يتوجهوا إلى القاهرة للحصول على تصديق كبير القضاة.

حكام الأقاليم فى جميع الأحوال يجب أن يحيطوا قادة الدولة علما أن الوقت قد حان أخيرا لكى تتوقف الحكومة العثمانية، التى كانت أكثر طغيانا عليهم من حكومة المماليك نفسها، وأنه يتعارض مع روح القرآن أن يأتى العثمانيون من القسطنطينية لإدارة العدالة لقوم لا يفهمون لغتهم، لقد مرت ثلاثة أو أربعة قرون بعد وفاة الرسول ﷺ محمد قبل أن تدخل القسطنطينية إلى دين الإسلام؛ وأنه إذا

عاد الرسول محمد ﷺ إلى الأرض فلن تكون القسطنطينية مقرا لإقامته، بل ستكون مدينة القاهرة المقدسة على ضفاف نهر النيل؛ وأن رئيس دين الإسلام هو صديقنا شريف مكة، تماما كما أن المعرفة الصادقة بالدين توجد فى مجلس العلماء بالقاهرة، الأكثر معرفة بالدين فى جميع أنحاء إمبراطورية الإسلام دون منازع؛ وأن القائد العام يريد أن يكون جميع القضاة من المواطنين المصريين، باستثناء من جاءوا من مكة والمدينة.

إدارة الحرب[١٠١] **بوناپارت**

مذكرة عن الإدارة المحلية.

بوناپارت خسر مؤقتا المعركة القائمة، ليست ضد الإسلام، بل لصالحه. بقى عليه أن يستعد للمستقبل، وفوق كل شىء، أن ينير العقول الأوروبية بعرض شديد الوضوح للحقائق. كان هذا هو هدف التعليمات التالية التى أصدرها وهو يسلم القيادة العامة للچنرال كليبر (٢٢/ ٨/ ١٧٩٩)؛ هذه التعليمات تحمل عبارة: مقر القائد، الإسكندرية، فروكتيدور[١٠٢] مع ذلك يجب تفسير هذه العبارة: أنها تعنى بالقرب من الإسكندرية؛ لأن جميع المعلومات التى تتعلق بالموضوع تتفق على أن بوناپارت لم يرغب فى الدخول إلى المدينة[١٠٣].

الوثيقة (٢٩)[١٠٤]

مـــذكرة عـــن الإدارة المحلية

العربى هو عدو الأتراك والمماليك. المماليك حكموه بالقوة، وقوتهم كانت بالكامل حربية. اللغة التركية هى لغة أجنبية لمواطنى الدولة، تماما مثل اللغة الفرنسية. العرب يعتقدون أنهم أعلى منزلة من العثمانيين. العلماء وكبار الشيوخ هم قادة الأمة العربية، يتمتعون بثقة وإعجاب جميع سكان مصر. هذا هو ما جعل الأتراك والمماليك يغارون منهم فى جميع الأوقات، ويبعدونهم عن إدارة الشئون العامة. أنا لم أشعر أبدا بأى رغبة لمحاكاة تلك السياسة. من المستحيل علينا أن

نتطلع إلى نفوذ مباشر على جماهير نحن بالنسبة لهم أجانب، لكى نقودهم، نحن نحتاج إلى وسطاء؛ يجب أن نعطيهم قادة، وإن لم نفعل، سوف يختارون هم قادتهم. أنا فضلت العلماء وأساتذة القانون.

أولا - لأنهم القادة الطبيعيون.

ثانيا - لأنهم مفسرو القرآن، ولأن أعظم العقبات التى واجهناها وسوف نواجهها، تنبع من الأفكار الدينية.

ثالثا - لأن العلماء لديهم عادات حضارية، ويحبون العدالة، وهم أغنياء، تحركهم مبادئ أخلاقية طيبة، هم بدون نزاع أكثر الناس أمانة فى الدولة. هم لايعرفون ركوب الخيل، وليست لديهم تجارب فى المناورات الحربية، وغير مؤهلين لقيادة حركة مسلحة. لقد أعجبتهم إدارتى، استخدمتهم فى حديثى مع الشعب، كونت دواوين العدالة، هم كانوا القناة التى قمت من خلالها بحكم الدولة. لقد أضفت إلى ثرواتهم، و أعطيتهم فى جميع المناسبات أعظم فروض الاحترام، ومنحتهم أعلى الأوسمة الحربية؛ بإرضاء كبريائهم، وأرضيت كبرياء الشعب كله، ولكن سوف يكون عبثا أن نعطيهم كل هذه الاهتمامات إذا لم يكونوا مشربين بأعمق احترام للدين الإسلامى. لقد أردت أن أجعلهم أكثر طاعة، وأكثر احتراما للأشياء وللشخصيات التى تتعلق بالإسلام، عما كانوا عليه فى الماضى.

«الباب العالى كان يحتكر تعيين جميع القضاة. لقد عانيت من مشاكل كثيرة لكى أقوم بتغيير هذه العادة، وأعيد للعلماء هذا الاختصاص الذى فقدوه. من المهم الحفاظ على مافعلته».

القاهرة هى المفتاح الثانى للكعبة المكرمة؛ مكة هى مركز دين الرسول محمد ﷺ. سياسة سلاطين القسطنطينية كانت تهدف إلى تجريد شريف مكة من صلاحياته، وأن تحدد أو تلغى علاقات العلماء مع مكة.

مصالحى، بطبيعة الحال، قادتنى إلى اتجاه عكسى، قمت بإحياء العادات

القديمة، أكدت علاقات الصداقة مع شريف مكة، وفعلت كل شيء ممكن لمضاعفة وتعزيز العلاقات مع المدينة المقدسة.

يجب على الإنسان أن يولى أعظم اهتمام لإقناع المسلمين أنه يحب القرآن ويبجل الرسول محمداً ﷺ. كلمة زائفة، أو مناورة واحدة سيئة التخطيط، قد تدمر العمل الذى تم عبر سنوات عديدة. **أنا لم أسمح أبدا للإدارة أن تقوم بعمل مباشر تجاه العاملين بالجوامع أو تجاه الشئون الدنيوية للجوامع، كنت أحيلها دائما إلى العلماء وأترك لهم حرية معالجتها**. فى أى موضوع مثير للنزاع، يجب على السلطة الفرنسية أن تقف دائما إلى جانب الجوامع والمؤسسات الدينية. من الأفضل لنا أن نفقد بعض الحقوق، لكى نتجنب الإساءة إلى الإدارة تجاه هذه الأمور الحساسة. هذه الطريقة كانت أكثر فاعلية من أى شيء آخر، وهى التى أسهمت فى شعبية حكومتى. ضريبة الملايين الستة التى فرضتها على المدينة عند وصولى أثارت احتجاجات ضئيلة، وسددت بسهولة؛ لأننى قمت فقط باستخدام الشيوخ فى تقديرها وجمعها، ونظر السكان بارتياح لعدم وجود أى إهانات أوأعمال استبدادية مثل تلك التى أخزت إدارة الأتراك أوالمماليك.

الأقباط يسيطرون على الأموال وعلى جمع الضرائب؛ من الضرورى الإبقاء عليهم فى موقعهم، والحرص على عدم تدخل الأتراك فى هذا المجال المهم من الإدارة، والذى يجب نقله فى الوقت المناسب إلى أياد أوروبية. المماليك ليس لهم وجود الآن كقوة، هم مفيدون كجهاز ميلشيا مساعد؛ إنهم ولدوا أعداء للعرب وللشيوخ، و يمكنهم أن يقدموا خدمات فى مناسبات كثيرة. يمكن للإنسان أن يكتسب مراد بك وإبراهيم بك بإعطائهما لقب أمير، وأن يكتسب البكوات الآخرين بإعطائهم رتبة جنرال، وإعادة ممتلكاتهم إليهم. من الضرورى مع ذلك الحرص على ألايمتلك البكوات مجتمعين أكثر من ٩٠٠ أو ١٠٠٠ فارس. سوف نستخدمهم لاحتواء عرب الصحراء جميعا بستة أفواج من الهجانة، نشكلها لهذا الغرض. سوف نستولى على جميع الآبار فى الصحارى الست، لكى نستطيع ممارسة السيطرة المباشرة على جميع هذه القبائل البدوية.

من الضروري ألانغفل عن حقيقة أن الإسكندرية يجب أن تكون يوما ما هي عاصمة الدولة. يجب علينا ـ لذلك ـ أن ندعم فرع النيل على جانب رشيد بدلا من فرع دمياط، وأن نجعل حجما كبيرا من الماء يتدفق في إقليم البحيرة، حتى إن سبب ذلك ضررا للشرقية؛ وأن نعيد بناء القناة من الرحمانية إلى الإسكندرية؛ وأخيرا نعزز ميناء الإسكندرية ونجعله المخرج الوحيد للتجارة مع أوروبا، وأن نعيد جميع المواصلات السابقة بين شمال مصر، والفيوم والبحيرة. الحصون الدائمة، والمحلات التجارية، والمستشفيات، والترسانات، ومطاحن الهواء، والمصانع يجب تفضيل بنائها في الإسكندرية، حيث يجب استخدام جميع وسائل الإغراء لنجذب إليها أعدادا كبيرة من اليونانيين، واليهود والمسيحيين من سوريا.

يجب علينا أن ندعم السويس، على حساب القصير، ونجعلها مستودعا رئيسيا لواردات البن والتوابل، ولتصدير سلع أوروبا ومصر السفلى. تجارة القصير يجب أن تقتصر على السلع من مصر العليا.

الدولة يجب أن تتعود تدريجيا على فكرة التجنيد الإجباري للجيش والأسطول. ما له أهمية خاصة هو أن نجمع كل سنة بضعة آلاف من السود، من سنار ودارفور، ونضمهم إلى القوات الفرنسية بنسبة ٢٠ رجلا لكل فوج. بسبب تعودهم على الصحراء، وحرارة خط الاستواء، سوف يصبحون، بعد ثلاثة أو أربعة أعوام من التدريب والتجارب، جنودا صالحين ومخلصين.

يجب علينا أن نتكيف مع أساليب الشرق[١٠٥]، نترك القبعة والبنطلونات الضيقة، ونعطي ملابس قواتنا شيئا من النمط الشرقي. بمثل هذه الملابس سوف تبدو قواتنا للسكان وكأنها جيش وطني، ونحافظ بهذا على عادات الدولة[١٠٦].

* * *

هوامش الجزء الأول

١ ـ جزء من هذا العمل ظهر فى المجلة الاجتماعية الدولية (إنترناشيونال سوسيولوچيكال ريڤيو) أكتوبر ١٩١٢ .

٢ ـ انظر أواخر الملحق رقم (١) .

٣ ـ بيليت دى لا لوزير .

٤ ـ حدد بوناپارت هدفه منذ البداية ؛ كان هذا بغرابة شديدة تأكيده المطرد لسياسته الإسلامية .

٥ ـ بالنسبة لتاريخ الرسول محمد ﷺ وتاريخ العرب ، لم يقم ناپوليون فقط بدراستها دراسة دقيقة ، بل إن كتاباته وهو شاب ، شملت موجزا مثيرا عن تاريخ العرب الذى كتبه الأب ماريجنى . انظر ماسون : ناپوليون كتابات لم تنشر ، ١٩٠٨ ، من صفحة ٣١٩ الخ .

٦ ـ رسائل ناپوليون الأول ، التى نشرت بأمر من ناپوليون الثالث ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٧ ـ ٢٨ ، رقم ٤٥٨ر٢ ، ٢٨ مارس ، ١٧٩٨ .

٧ ـ ملحق للبيان رقم ٧٠٨ر٢ ـ هذا البلاغ ، الذى كتب على ظهر السفينة أورينت يوم ٢٢ يونيو ، لم يصدر كأمر عسكرى إلا فى يوم ٢٨ يونيو ، ليلة يوم الهبوط إلى أرض الإسكندرية .

٨ ـ من بين رجال السياسة الإنجليز ، فوكس فقط هو الذى عبر عن إعجابه الشديد بناپوليون . مع مثل هذا الشعب ، نحن نقرأ فى مذكرات القديسة هيلين ، سوف يكون لدى إدراك دائم أنه كان يجب علينا أن نصل سريعا إلى اتفاق . لم يكن علينا فقط أن نحقق السلام مع أمة تستحق كل الإعجاب ، بل كان علينا أيضا أن نعمل معا عملا صالحا . فى الوقت الحاضر ، لن يكلفنا شيئا أن ندرك أن إنجلترا أصبحت أمة شقيقة

لفرنسا، تقوم بسياسة إسلامية بالغة الحكمة. تلك سياسة يمكن اعتبارها مثالية.

٩ ـ انظر الجزء الرابع، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

حتى إذا كان النص الفرنسى للوثيقة التالية قد ترك أى فراغ لأقل تردد بالنسبة للبلاغ الرسمى الذى أصدره القائد العام، فإن النص العربى، الذى كتب بناء على أوامره، سوف يزيل أى شك. تقرر فيه ـ بالتأكيد ـ مبدأ التحالف الفرنسى الإسلامى.

١٠ ـ بالنسبة للتغييرات المادية فى النص العربى للبلاغ، لدينا دليل على ذلك، ليس فقط فى مراسلات الجيش الفرنسى فى مصر ـ كما ترجمها أسطول نيلسون، والتى طبعت فى لندن عام ١٧٩٩ ـ بل أيضا، النص العربى نفسه. هذا النص بدلا من أن يشير إلى بوناپارت على أنه عضو المجمع القومى، بدأ هكذا **[بسم الله الرحمن الرحيم، لاإله إلا الله، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد].**

بالنيابة عن الجمهورية الفرنسية التى أسست على مبادئ الحرية، نعلن إلى جميع سكان مصر أن البكوات، منذ زمن طويل . . . الخ انظر نقولا الترك، «تاريخ الحملة الفرنسية إلى مصر» كما ترجمها ديسجرإنچيز الكبير، سكرتير التفسير للملك فى پاريس والتى طبعت بإذن الملك فى المطابع الملكية عام ١٨٣٩.

نحن مضطرون هنا أن نأخذ مراسلات بوناپارت كما طبعها ونشرها ناپوليون الثالث، ولكن دعنا نأخذ فى اعتبارنا تشويه وطمس نصوص الوثائق. انظر بون ليسيتر: رسائل لم تنشر لناپوليون الأول پاريس، ١٨٩٧، الجزء الأول، ملاحظة أولية.

١١ ـ البلاغ فى نصه العربى لم يذكر تعبير «المسلمين الحقيقيين» ولاحتى أصدقاء المسلمين الصادقين» بل إنه قال: أيها القضاة والشيوخ والأئمة وأشراف المدينة، قولوا لشعبكم: إن الفرنسيين هم أيضا مسلمون مخلصون.

يوجد هناك إقرار يشير إلى إسلامهم ودعوة إلى قلوب وعقول وإخلاص السكان، انظر نص نقولا الترك، وترجمة ديسجر إنچيز: الفرنسيون هم أيضا مسلمون حقيقيون، ولكن مسلمون صادقون، ترجمة أفضل.

١٢ ـ من المعروف كيف سارت هذه الأحداث: مؤسسو الجمهورية الجديدة أسرعوا بإرسال ثمانية منهم إلى الچنرال الفرنسى بيرثيير يخبرونه أن روما قد حررت نفسها، وهى تحتاج إلى حضوره فقط لكى تصدق رسميا على حريتها، بيرثيير الذى كان يتوقع هذا التطور، قرر لذلك أن يدخل رسميا إلى هذه المدينة التى كانت مقرا للقياصرة وورثة القديس (بطرس). سار بصحبة عدد من قادة الأركان ومجموعات

من قوات الفرسان والرماة. بعد أن سار عبر المدينة وسط حشد كبير من الجماهير، شدهم هذا المشهد المتفرد أكثر من حبهم للحرية. صعد الجنرال الفرنسي إلى الكابيتول (هيكل روما القديم) وباسم شعب فرنسا، أقدم التحية للجمهورية الرومانية الجديدة، أعلن أن هذه الجمهورية التي تعترف فرنسا بحريتها واستقلالها سوف تشمل جميع الأراضي التي منحت إلى البابا بموجب معاهدة تولينتينو. ثم دار حول ساحة الكابيتول وسط هتافات مدوية «تعيش الحرية تعيش الجمهورية الفرنسية والجمهورية الرومانية، والجنرالان بوناپارت وبيرثيير والجيش الفرنسي الذي لايقهر»

في اليوم التالي، قامت جميع كنائس روما بتقديم الشكر للموجود الأعلى، الأربعة عشر كاردينالاً الذين وقعوا على مرسوم الحرية والتنازل الرسمي عن جميع حقوقهم السياسية، رتلوا الأناشيد في كنيسة القديس پيتر. هؤلاء الكرادلة لم يشاركوا في عدوان يوم ٢٨ ديسمبر، ورغبتهم في إنهاء أيام وجودهم في روما، جعلتهم يتخذون قرارا يدل على الأنانية أكثر مما يدل على الشجاعة.

بينما قام الشعب الذي سحره هذا التجديد بدق نواقيس القلعة إعلانا بشكرهم للفرنسيين. بقي البابا پيوس السادس معزولا في قصره، هجره معظم رجال الكنيسة البارزين ونبلاء روما، وظل يجهل ما يحدث من حركة العصيان المسلح رغم أنه كان يعرف خطواتها الأولى، الجنرال الفرنسي سيرفوني ذهب إلى قداسته وحذره من أن الشعب ألغى الحكومة البابوية ومارس استقلاله. هذا الرجل المسن الجليل، رفع بصره إلى السماء وقدم ما كان بالنسبة له تضحية متواضعة لسيد كل شيء وتلقى أخبار سقوطه المؤقت بهدوء وتماسك روحي أكثر مما يتوقعه أي إنسان من رجل مسن يعاني من أمراض عديدة، مستسلما للوسائل الغامضة للقدرة الإلهية. طلب من الجنرال بيرثيير وحصل على إذن منه أن يتقاعد في توسكاني. في يوم ٢٠ فبراير قام پيوس السادس بترك المقر الذي قام منه أسلافه بقوتهم الروحية بهز عروش أكثر ملوك أوروپا قوة. لجأ إلى صومعة مظلمة بملجأ پيز (انتصارات غزوات كوارث نكسات وحروب بين الفرنسيين من عام ١٧٩٢ إلى عام ١٨١٥، المجتمع الحربي پاريس ١٨١٨ الجزء الثامن ص ٢١٨ ـ ١٢٢).

١٣ ـ انظر الجزء الرابع ص ٢١٥ وما بعدها.

١٤ ـ هذه الرساله تستحق اهتماما خاصا لطبيعتها الرسمية بسبب توجيهها وسريتها بسبب من أرسلت إليه.

١٥ ـ الجزء الرابع ص ٤٢٠ .

١٦ ـ الجزء الرابع ص ٢١٥ وما بعدها .

١٧ ـ بعيدا عن صراع أعمال القائد العام مع آرائه الفلسفية المعروفة ، هى لا تفعل أكثر من تفعيل ممارستها ، هذه الوثيقة مرسلة إلى كليبر (وثيقة قد تبدو أنها سياسية بحتة) شملت رغم ذلك تقديرا فريدا لتطور الأزمنة وللتعديلات التى يتطلبها هذا التطور ، لا شىء يمكن أن يكون أكثر صراحة ووضوحا (وولاء بالنسبة للإسلام بقدر ما هو لفرنسا نفسها) عن هذه الرسالة إلى كليبر .

١٨ ـ تواريخ من تقويم الثورة .

١٩ ـ الجزء الرابع ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

٢٠ ـ عندما قام ساڤاس باشا أثناء دراسته لنظرية الشريعة الإسلامية ، باستخدام تعبير : أسلمة الحقائق ، فعل هذا لكى يجعلنا نتفهم ما يعنيه .

انظر الجزء الرابع .

٢١ ـ سوف نقوم بعد وقت قليل بتطوير هذه النظرية باعتبار أنها قديمة ، كما أنها تقليدية ، وباعتبار أنها تقليدية كما أسىء بناؤها فى الملاحظة .

٢٢ ـ انظر رقم ٢ر٨٥٠ مقر ـ القائد ـ القاهرة ٢٧/ ٧/ ١٧٩٨ الجزء الرابع ص٢٦١

٢٣ ـ الجنرال زاچونشيك يحكم إقليم منوف .

٢٤ ـ دراسة الناس الذين تعيش بينهم واختيار من هم أكثر صلاحية للقيام بالعمل ، بعض الأوقات اضرب لهم أمثالا عادلة وصارمة ولكن لا تفعل أبدا أى شىء يقترب إلى النزوة أو الطيش .

انظر رقم ٣ر٠٣٠ ، ١٦/ ٨/ ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٤٨ .

٢٥ ـ انظر رقم ٣ر٠٨٤ ، الجزء الرابع ص ٣٨٦ر٣٨٧ ، ٢٢/ ٨/ ١٧٩٨ .

٢٦ ـ القاهرة ٢٣/ ٨/ ١٧٩٨ عن المعهد المصرى ، قارن الشيخ عبد الرحمن الجبرتى «تاريخ عجائب الآثار» ، القاهرة ١٨٩١ ، الجزء السادس ص ٧٢ ومايليها .

٢٧ ـ الجزء الرابع ص ٣٩٠ ـ ٣٩١ .

٢٨ ـ انظر رقم ٤ر١٠٣ ، الجزء الخامس ص ٤٠٦ .

٢٩ـ رقم ١٤٧ر٣ : إلى الچنرال مارمونت .

٣٠ـ انظر أدناه .

٣١ـ الجزء الخامس ص ٥١٨ .

٣٢ـ الجزء الخامس ص ٤٠٦ .

٣٣ـ انظر رقم ١١ . ر٤ مقر القيادة ـ جبل كارميل ١٨/ ٣/ ١٧٩٩ الجزء الخامس ص ٣٦٣ـ ٦٦٣ .

٣٤ـ الجزء الرابع ص ٤١٣ .

٣٥ـ إلى شريف مكة رئيس الدين، نصوص أوراق عديدة تتعلق بأنشطة ناپوليون الحربية والسياسية، ديدوت ١٨٠٠ ص ٣٣٣ . المرجع الثانى ص ٣٠ (ملاحظة) فكر ناپوليون فى الحقيقة لا ينازع .

٣٦ـ الجزء الخامس ص ٤٩٠ رقم ٩٠١ر٣ .

٣٧ـ المرجع السابق .

٣٨ـ المرجع اللاحق .

٣٩ـ تواريخ من التقويم الثورى .

٤٠ـ لقد كان بمساعدة شريف مكة، أن استطاع بوناپارت أن يؤمن الطريق إلى الهند .

٤١ـ انظر الجزء الخامس ص ٤٨١ـ ٤٨٦ وكذلك ص ٤٩١ من رقم ٢٣٧ر٤ .

٤٢ـ أ ـ الحج يحقق تواصل كثير من الشعوب المختلفة ويؤكد بذلك تماسك الإنسانية بقدر كبير .

ب ـ إنه يكرس المساواة بين المسلمين بطريقة عملية، هذه المساواة مطلقة، جميع الحجاج يرتبطون بنفس الالتزامات، السادة والخدم يتساوون حقا، الإسلام برهن أنه أعظم وسيلة لمساواة الناس التى ذكرها كارلايل (كاتب فيلسوف إنجليزى) .

ج ـ تنوع العادات والأجناس واللغات تختفى داخل الانضباط الأخلاقى رغم وجود بعض المجرمين بين الحجاج لا ترتكب أى جريمة .

د ـ حرمات الحج هى نفسها انضباط .

هـ ـ مدته توطد التواصل بين مختلف الشعوب، ونتيجة لذلك هو يساعد بطريق غير مباشر على توسيع العمل السياسى.

و ـ القصص التى يرويها الحجاج سوف تتزايد نتيجة لتجاربهم الذاتية.

ز ـ بدون أداء هذه الممارسة الدينية، أعداد ضخمة من الناس ستظل تجهل أعظم الاكتشافات العلمية الحديثة وقد لايسمعون شيئا عنها، هذا بالتأكيد عامل بدائى للدعاية العلمية ولكنه لايقدر، انظر العدد الذى صدر فى يونيو عام ١٩١٢ فى مجلة العالم الإسلامى: «رواية عن الحج إلى مكة عام ١٩١٠ ـ ١٩١١» كتبها قاسم زاده. انظر كذلك رسالة ناپوليون رقم ٤ر٢٣٨: رأس الدين الإسلامى هو صديقنا شريف مكة، الجزء الخامس ص ٤٩٢ مقر القائد القاهرة ٣٠/ ٦/ ١٧٩٩ انظر الملحق رقم (١)».

٤٣ ـ الجزء الخامس ص ٥٦١ ـ انظر رقم ٤ر٣٥٩ إلى بيك طرابلس ١٥/ ٨/ ١٧٩٩ أيضا رقم ٤ر٢٣٥، إلى سلطان دارفور ٣٠/ ٦/ ١٧٩٩.

٤٤ ـ انظر أعلاه.

٤٥ ـ يوناپارت قبل التعصب فقط فى الحرب، ولذلك قد لا يشعر ببسالة المسلمين فى الحرب.

٤٦ ـ بوناپارت يصنف التعصب بدقة تامة انظر أعلاه.

٤٧ ـ هذه هى الإشارة السياسية، الباقى تعليمات حرفية خاصة لكليبر.

٤٨ ـ الجزء الخامس ص ٥٧٢ ـ ٥٧٥.

٤٩ ـ انظر أعلاه.

٥٠ ـ انظر مثلا رقم ٣ر٠٧٤: إلى البريجادير چنرال ڤيال، حاكم إقليم دمياط ٢٢/ ٨/ ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٧٨.

٥١ ـ انظر رقم ٤ر٣٦٤. لا يستطيع المرء أن يصر ـ بما يكفى ـ على مثل هذه البلاغات، التى كانت رزينة كما كانت محددة وصارمة.

٥٢ ـ الجزء الخامس ص ٥٢٣ ـ ٥٢٦ هذه عبارة مروعة «المسلم الذى يصعد إلى سفينة ترفع علم الصليب، والذى يستمع كل يوم إلى عبارات التجديف ضد الله الواحد الأحد، هو

أقبح من الكافر نفسه» نفس المرجع. هذا البغض لعقيدة لا عقلانية استخدمه بوناپارت ولكنها كانت هي نفس عقيدته، هو فقط بالغ في التعبير عنه.

٥٣ ـ بوناپارت عرض عقيدة الثالوث المقدس بأسلوبه هو، ورفض المراوغات اللاهوتية.

٥٤ ـ الجزء الرابع ص ٢٤١ رقم ٢ر٨١٨، بلاغ إلى سكان القاهرة، مقر القيادة الجيزة ٢٢ / ٧ / ١٧٩٨.

٥٥ ـ الجزء الخامس ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

٥٦ ـ هذا الملخص (وقعه القائد العام كما وقع السابق له) لم يكن أقل صراحة ولكنه مهم بالنسبة لمجاله الرسمي ويبدو أنه أكثر إثارة.

٥٧ ـ الجزء الخامس ص ٥٦٢ ـ ٥٦٣.

٥٨ ـ «أنا أشكركم لمظاهر التكريم التي قدمتموها للنبي محمد ﷺ» رقم ٣ر١١٥ مقر القائد القاهرة ٢٦ / ٨ / ١٧٩٨. انظر الجزء الرابع ص ٣٥٦ رقم ١٣. ر٣. إلى قنصل فرنسا في طرابلس، ١٨ / ٨ / ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٦٣ رقم ٣ر٠١٠. إلى الجنرال ڤيال حاكم إقليم دمياط: أنا أفترض أنك فعلت كل ما يلزم لإقامة احتفال مجيد يوم مولد النبي ﷺ الآتي بعد أربعة أو خمسة أيام. الاحتفال بوفاء النيل هنا كان بديعا، والاحتفال بمولد النبي ﷺ سيكون أفضل. الجزء الرابع ص ٤٢١ ـ ٤٢٢ رقم ٣ر١٠١. إلى الجنرال مينو: لقد احتفلنا بمولد النبي ﷺ بتقديس وحماس مما جعلني أستحق لقب ولي الله ٢٨/٨/ ١٧٩٨. لم يستهزىء بالإسلام منذ الرسالة التي كتبت إلى مينو.

٥٩ ـ انظر أعلاه رقم ٣ر٠٧٨. إلى أحمد باشا حاكم صولد وعكا (سيدون والقديس چين ـ عكا) ٢٢/٨/ ١٧٩٨ الجزء الرابع ص ٣٨٠.

٦٠ ـ رقم ٧٧. ر٣ إلى المواطن بوڤوازينز.

٦١ ـ الهلال رمز التقدم، في مقابل الصليب رمز الظلم، إنصافا، يجب أن تعترف من وجهة نظر فردية أن دين الصليب نفسه لديه أمثلة متكاثرة للبطولة وإنكار الذات.

٦٢ ـ انظر مايلي الوثيقة الواحدة والعشرين، هناك ما قد تكون أعظم الآمال التي أعطيت للإسلام.

٦٣ ـ الجزء الرابع ص ٣٨٠ ـ ٤

٦٤ـ انظر أى بيدارايد «اليهود فى فرنسا وإيطاليا وإسپانيا» مايكيل ليفى ١٨٥٩ ص ٥٨١ وما يليها، وأيضا جريدة رويديرار «استماع الأجهزة التشريعية ٥/ ١١ / ١٨٠٠» .

٦٥ـ الجزء الرابع ص ٤٢٠ .

٦٦ـ الجزء الخامس ص ٢٢١ـ٢٢٢ .

٦٧ـ أرسل بعد ذلك كسفير لدى القسطنطينية .

٦٨ـ الجزء الرابع ص ٣٩ .

٦٩ـ تاريخ من التقويم الثورى .

٧٠ـ الجزء الرابع ص ٣٩ .

٧١ـ الجزء الخامس ص ٥٧٢ـ٥٧٥ .

٧٢ـ انظر الملاحظة الثانية على الصفحة التالية .

٧٣ـ وزارة الحرب : نظام إدارة الحرب رسائل ناپوليون جيش الشرق ١٤ يونيو إلى ١٤ يوليو ١٧٩٩ ، صندوق ٢٢ .

٧٤ـ انظر جورجود «يوميات لم تنشر» الجزء الأول ص ٣٤٨، الشيوخ كانوا دائما يقولون لى إننى إذا أردت أن أجعل نفسى شيخا جليلا، يجب على الجيش أن يصبح مسلما، ويجب على أن أرتدى عباءة، هذا ما كنت أريده، ولكنى لم أقدم على اتخاذ هذه الخطوة إلا بعد أن أتأكد من النجاح، بدون ذلك سوف أصبح مثل مينو موضع سخرية .

٧٥ـ يوجد خط أفقى هنا .

٧٦ـ إنه تأكيد تام لأهم نصوص نيقولا ص ١٢٣ـ١٣٢ وأيضا ١٤٤ـ١٤٦ انظر الوثيقة رقم (٣٩)، وكذلك جورجود يوميات لم تنشر الجزء الثانى ص ٢٧٥ .

٧٧ـ عن چومارد انظر مجلة ريڤيو ديچيت السنة الرابعة، الجزء الرابع يناير ـ أبريل ١٨٩٧ .

٧٨ـ لقد كان بورينين ثم الچنرال بيرثيير رئيس الأركان .

٧٩ـ دعنا نكرر وجوب الاهتمام بهذه الملاحظات الحيادية المختلفة، بسبب الاختفاء الأكيد للمسودة الأهلية .

٨٠ـ أزيلت .

٨١ـ الجزء الخامس، ص ٥٦٣ وما يليها .

٨٢ـ في نفس الوقت صدرت إليه أوامر دقيقة من مقر القيادة بمنوف، عند سد ترعة الفرعونية وبعض القنوات الأخرى «التي يبدو أنها تنقل المياه من فرع دمياط إلى فرع رشيد» إدارة الحرب الجزء الخامس، ص ٥٧٠، ٥٧١، ١٩/ ٨/ ١٧٩٩ .

٨٣ـ عند عودتي بعد شهرين أو ثلاثة، أرجو أن أكون سعيدا بشعب مصر، وألا يكون لدى شيء أقدمه سوى الشكر والعرفان للشيوخ، ٢٢/ ٨/ ١٧٩٩ رقم ٤ر٣٧٧ الجزء الخامس، ص ٥٧٦ـ ٥٧٧ .

٨٤ـ انظر الجزء الخامس ص ٥٧٨ رقم ٤ر٣٨٢ إلى الإدارة التنفيذية ١٠/ ١٠/ ١٧٩٩ .

٨٥ـ انظر رواية لوسيان بوناپارت في «بوناپارت وأوقاته» للسيد لانجشارپنتير ١٨٨٥ الطبعة الثالثة، الجزء الثالث، ص ٣٢٧ـ ٣٢٨ . انظر الملاحق .

٨٦ـ براهين: البند الأخير من الاتفاقية، والفقرات الأساسية أيضا، واحتفال التكريس نفسه . انظر ما يلي .

٨٧ـ رقم ٣ر٩٠١ إلى صاحب تيپو (انظر الملحق) .

٨٨ـ عميرة . انظر مذكرات ناپوليون التي كتبها جورجود .

٨٩ـ لقد قرأه جيدا؛ لأنه استطاع أن يكتب «الباشا وجميع الأسرى الأتراك، لم يستطيعوا إخفاء دهشتهم وهم يرون قدر احترام الفرنسيين للدين الإسلامي ولشريعة أقدس الأنبياء» رقم ٤ر٣٦٢ الأمر رقم ٢٩، ١٦/ ٨/ ١٧٩٩، الجزء الخامس ص ٥٦٢ـ ٥٦٣ .

٩٠ـ أي دين غير دين الإسلام يمكنه أن يجبر البراهمانية على التراجع، وهي التي تهدد العقل الإنساني بقسوة .

٩١ـ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة المائدة(٥)ـ الآية ٦٩] بالنسبة للمسلمين جهنم ليست أبدية، جميع الفقهاء يقرون بزوالها بعد زمن لا يعرفه إلا الله يتوقف على كرمه ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سورة الأعراف(٧) آية ٣٤] ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [سورة هود : الآيات ١٠٨، ١٠٩] .

٩٢ ـ إجحاف واسع الانتشار، رغم أنه يتعارض مع التاريخ، و هو أن الرسول محمدا ﷺ كان عدوا للعلوم والفنون والآداب . انظر «مذكرات ناپوليون» أعلاه، والرسالة رقم ٤ر٢٣٨ .

٩٣ ـ مفهوم العدالة بعيدا عن تعارضه مع مفهوم الإحسان، هو وحده القادر على تزويد الإحسان بأعلى قدر من التحقيق. انظر نيقولا ص ١٣٢ .

٩٤ ـ رقم ٤ر٣٧٤ إلى الچنرال كليبر ٢٢/٨/١٧٩٩ .

٩٥ ـ انظر رقم ٤ر٣٦٧ .

٩٦ ـ ما الذى حدث لنسخة قرآن بوناپارت «ذات الحواشى» ؟

٩٧ ـ حول هذه النقطة، لدينا لتأكيدها إذا لزم الأمر كلمة كليبر انظر «مستخرج من الرسائل المصرية» طبعة تكميلية فى اليوم السادس من السنة السابعة، قل لهم (الشعب) إن حكومة جمهورية فرنسا عندما انتدبتنى لحكم مصر، كلفتنى بصفة خاصة أن أرعى سعادة الشعب المصرى، ومن بين جميع واجبات قيادتى كان هذا التكليف أقربها إلى قلبى.

شعب مصر يبنون سعادتهم بصفة خاصة على أساس دينهم، و احترامه لذلك سوف يكون أحد واجباتى الرئيسية، سوف أفعل أكثر من ذلك سوف أمجده، وسوف أسهم قدر استطاعتى فى عظمته وتألقه.

بعد أن تعهدت بهذا الالتزام، لن أخشى الأشرار، الشعب الطيب سوف يراقبهم ويحيطنى علما بهم. بوناپارت الحاكم السابق اكتسب حب العلماء والشيوخ وكبار الشخصيات بعمله السليم والمستقيم.

أنا أيضا سوف أحافظ على هذا المستوى، وسوف أتبع خطواته، وسوف أكون جديرا بما قدمتوه له . إجابة الچنرال كليبر على الشيخ الموهادى فى (مقتطفات رسمية للجيش فى مصر) الجزء الثانى السنة التاسعة ص ٣ ـ ٤ .

٩٨ ـ لايستطيع الإنسان أن يكرر كثيرا أن هذه الفرضية تعارضها مجموعة من البينات الموثوق بها، ناپوليون كان بروحه مسلما تقريبا.

حتى ذكرى القديسة هيلين، تستشهد بالإمبراطور الفيلسوف، كنصير لتعدد الزوجات فى المستعمرات الفرنسية.

٩٩ ـ الفكرة كانت عزيزة على بوناپارت وبعد أن أصبح إمبراطورا، ناقشها مع العثمانيين.

رويدا رويدا، فرض ناپوليون نفسه كمستشار لسليم، ولكن الأحداث سوف تبرر وسوف تتجاوز، أسوأ المفاهيم.

انظر إ. د / يالت «سياسة ناپوليون فى الشرق» مع اهتمام خاص بصفحات ٣٤١ ـ ٣٤٢؛ كوار دى ڤيرنيل «ناپوليون الأول وفارس».

١٠٠ ـ دعنا نتذكر أفضليات بوناپارت الشخصية للقاهرة ومكة (انظر فيما يلى الملحق) رقم ٤ر٣٦٤ من المراسلات، بوناپارت كان يرتبط بشدة مع فكرة تحالف فرنسى ـ إسلامى. كان أقل اهتماماً بفكرة مشاركة تركيا فى هذا التحالف.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

[الأنفال : ٧٣].

عن حتمية ملاحقة العلوم، انظر الأحكام السلطانية، أ. لوروكس ١٩٠١ ـ ١٩٠٦ الجزء الأول ص ٩٨ وما يليها.

١٠١ ـ الجزء الخامس ص ٤٩٢. لم يعد فى إدارة الحرب.

١٠٢ ـ تقويم الثورة.

١٠٣ ـ انظر سى. دى لاچونكير «الحملة المصرية» الجزء الخامس ص ٥٩٣ وكذلك «الانتصارات والغزوات» الجزء ١١ ص ٢١٩.

١٠٤ ـ ناپوليون «الحملات الإيطالية والمصرية والسورية» الجزء الثالث فى طبعة الهاشيت ص ١٥٠ وما يليها.

١٠٥ ـ يوجز لاپيدارى سياسة بوناپارت فى الشرق.

١٠٦ ـ انظر فيما بعد نقولا الجزء الثالث، ملاحظة رقم (٢) فى الملاحظات الخاصة والملحق رقم (١). عززت الظروف فكرة الإسلام فى عقل بوناپارت، بطريقة لايمكن أن تكون موضوع تساؤل، إن الانطباع ذهب إلى عمق كاف لايزول أبدا.